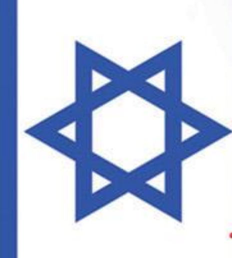


www.alrased.net

العدد السبعون - ربيع الثاني 1430 هـ









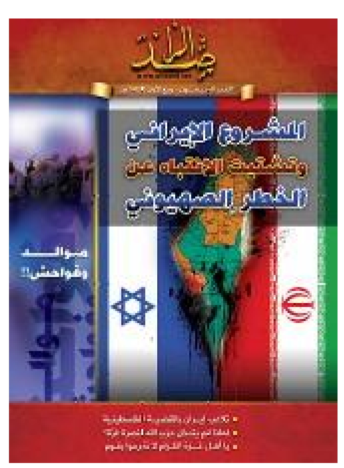
ملف العدد

- تلاعب إيران بالقضية الفلسطينية
- لماذا لم يتدخل حزب الله لنصرة غزّة؟
- يا أهل غزة الكرام لا تفرحوا بقوم

المحتويات

] وغيرها من المواضيع المميزة.. تجدها في موقع «الراصد»]





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٢٥) دولار أمريكي

العدد
(السبعون)
ربيع الثاني ١٤٣٠هـ

www alrased net
info@alrased.net



المشروع الإيراني
وتشتيت الانتباه عن الخطر الصهيوني

من المجمع عليه أن الخطر الصهيوني هو أكبر الأخطار التي تواجهها أمتنا الإسلامية؛ وبخاصة في المنطقة العربية، ذلك أن المشروع الصهيوني مشروع إعتداء متكامل على أمتنا، وهو يدرك أن بقاءه رهن بضعف وهزيمة أمتنا على كافة الأصعدة الدينية، والعلمية، والأخلاقية، والإقتصادية، والعسكرية.

ولذلك؛ لا ينفك عن العمل على إضعاف أمتنا في كافة هذه المجالات من خلال وسائل عديدة، مثل:

✷ **نشر الأفكار الهدامة للدين والأخلاق**؛ حتى أضحى كثير من أمتنا يحملون الأفكار الإلحادية والإباحية مباشرة من خلال الأحزاب الشيوعية واليسارية -والتي استولت على الحكم في بلدان إسلامية عديدة-، أو بطريقة غير مباشرة بتأثير وسائل الإعلام والاتصال؛ من صحف، وروايات، وإذاعات، وقنوات، وسينما، وشبكة الإنترنت، وغيرها.

✷ **السعي لهدم وإعاقة كل المحاولات العلمية، والإقتصادية، والعسكرية للتقدم والنهوض**، باستخدام القتل، والإغتيال، أو تشويه السمعة، أو سرقة العقول بالهجرة للغرب.

✷ **تشجيع الأقليات الدينية والعرقية على الإنفصال وتكوين دول مستقلة**، وأصابع إسرائيل في دارفور اليوم من الوضوح بمكان.

✷ **بث الفرقة والشحناء على كافة الأصعدة والمستويات في الأمة**، بين الحكام والشعوب، وبين الشعوب والعلماء، وبين الحركات الإسلامية، بل وفي داخل الحركة الواحدة.

✷ **افتعال الأزمات والحروب**؛ لتشتيت الإنتباه عن محاربة إسرائيل.

وهذا الخطر الصهيوني لا يمكن مقاومته إلا بوحدة الموقف والصف، الموقف الذي ينبع من تصور حقيقي للدافع وراء هذا الخطر، وهو الأيدلوجية الصهيونية المستندة لليهودية -أو المستغلة لليهودية-، فلا يمكن الانتصار على الصهيونية دون فهم البعد الديني في الصراع؛ حتى لو كان ذريعة أو أداة تستخدمها الصهيونية، والتي جوهرها: أن المسلم الجيد هو المسلم الميت!!

أما وحدة الصف؛ فهي نقطة القوة المادية التي ننطلق منها، ولذلك فإن قوة الدولة الصهيونية هي في ضعف صفنا، ولذلك كان توحيد الصف الإسلامي هو نقطة الإرتكاز في مشروع صلاح الدين؛ لإلحاق الهزيمة بالحملات الصليبية.

من هذا التصور للخطر الصهيوني يأتي التصدي لمطامع المشروع الإيراني؛ حيث لا يزال بعض الطيبين يعتقدون أن التصدي لأخطار المشروع الإيراني هو بالضرورة وقوف مع المشروع الصهيوني!

وقد سبق لنا في العدد (٦٧) أن بيّنا أن هذه المشاريع (الإسرائيلية - والأمريكية -والإيرانية) المتصارعة على منطقتنا مستعدة للتفاهم وإنهاء التصارع إذا تم التفاهم على مقدار وحصص النفوذ لكل طرف منهم.

إن المشروع الإيراني يهدد مشروع مقاومة الصهيونية في قلبه، فالمشروع الإيراني يهدد وحدة الموقف على عدة أصعدة:

1 **على الصعيد السياسي**: يَعتبر المشروع الإيراني الصراع مع الصهيونية صراعًا على النفوذ في الأمة الإسلامية[(١)]، وهذه النظرة تمنح المشروع الصهيوني المشروعية التي يبحث عنها.

1 **وعلى الصعيد الديني**: فإن أيديولوجية النظام الإيراني -اليوم- تقوم على التمهيد لقدوم المهدي المنتظر؛ والذي سيكون أعداؤه العرب، وسيهدم الكعبة، ويأتي بقرآن جديد، وأنصاره سيكونون من اليهود والنصاري الذين سيؤمنون به بخلاف المسلمين[(٢)].

أما بالنسبة لوحدة الصف؛ التي هي المرتكز الأساس في هزيمة المشروع الصهيوني، فإن المشروع الإيراني يتشدق بالمطالبة

---

(١) راجع كتاب (الراصد ٢) «حزب الله تحت المجهر»، وكتاب «حلف المصالح المشتركة»، أو عرضه في الرابط التالي:
.http://www.alrased.net/show_topic.php?topic_id=883

(٢) انظر: الحلقة الثانية من بحث (محركات السياسة الفارسية) في هذا العدد، و(المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام)
http://www.alrased.net/show_topic.php?topic_type=5&topic_id=1257، و(قراءة في النبوءات)
.http://www.alrased.net/show_topic.php?topic_id=421

بالوحدة، لكن سياساته وتصرفاته على أرض الواقع أكبر معول في هدم وحدة الصف لمصلحة الصهيونية، **ورغم أن الجهود العربية والإسلامية** تجاه المشروع الصهيوني لا ترتقي لما هو مطلوب ومأمول؛ إلا أن سياسات إيران تعمل على إضعافها وتأجيلها بما تشكله من تهديد داخلي.

❁ ويمكن لنا أن نؤشر على أهم هذه السياسات الإيرانية كما يلي:

١ - بحكم أن الدستور الإيراني ينص فى المادة (١٢) منه على أن: «الدين الرسمي لإيران هو: الإسلام، والمذهب الجعفري الإثنى عشري، وهذه المادة تبقى للأبد غير قابلة للتغيير»، **فإن إيران** لا تكف عن محاولة نشر التشيع في البلدان الإسلامية، مما يهدد النسيج الديني والإجتماعي لهذه البلدان؛ كما يحدث في سوريا، ومصر، والمغرب، وجزر القمر، وغيرها، مما يجعل جزءًا من اهتمام هذه الدول -أنظمة، وقوى اجتماعية- منصبًا على مقاومة التشيع؛ بدلًا من المشروع الصهيوني وأدواته.

٢ - بشكل دوري يقوم النظام الإيراني عبر أدواته وقنواته المتعددة بتهديد الأمن الوطني لبعض الدول الإسلامية المجاورة له، **إما بدعوى** تبعيتها له؛ مثل تصريحات ناطق نوري الأخيرة بأن البحرين محافظة إيرانية، **أو احتلال** أجزاء من دول الجوار؛ كما في جزر الإمارات الثلاث، وما يتردد مؤخرًا من احتلال إيران لجزيرة أم الرصاص العراقية شرق البصرة، **أو تحريض ودعم** بعض المعارضين ضد حكوماتهم، أو المطالبة بالانفصال كما في الدول العربية؛ كاليمن، والسعودية، والبحرين، **أو مساعدة ومساندة الجيش الأمريكي** في احتلال بعض الدول الإسلامية، مثل: أفغانستان، والعراق.

مما يدخل هذه الدول في أزمات أمن وطني داخلي تنشغل به عن التصدى للمشروع الصهيوني.

٣ - رغم تشدق إيران بموضوع الوحدة الإسلامية؛ إلا أن سياسة إيران تجاه القضايا الإسلامية يتصف بالإنتهازية.

ولذلك؛ فإيران لا يهمها سوى تحقيق مصالحها عند ادّعائها التضامن مع القضايا الإسلامية.

فإيران لم تناصر القضية الأفغانية زمن الإحتلال الشيوعي، ولا تهتم بالقضية الشيشانية؛ لعدم وجود أي مصلحة لها هناك، وكذلك في موضوع فلسطين؛ فهي تستخدم دعمها لحركتي حماس والجهاد؛ كورقة تفاوض مع إسرائيل وأمريكا على النفوذ.

٤ - بدلًا من توحيد الصف تقوم إيران وأدواتها في المنطقة دومًا بحملات إعلامية لزيادة الشرخ، وترسيخ واقع المحاور المتناقضة؛ لكسب الولاء أو التأييد لها من قبل الدول، والجماعات، والأحزاب، والشخصيات المؤثرة، من خلال سياسة الدعم المالي، وشراء
الذمم.

٥ - إن سياسة إيران في المشروع النووي الإيراني تولد الكثير من الشكوك حول حقيقته، مما يعزز شرخ الصف الإسلامي، فهل المشروع عسكري أم مدني؟ وضد من هو موجه؟ **فإذا كانت إيران** تهدد جيرانها المسلمين قبل امتلاك السلاح النووي، فكيف يكون الوضع بعد امتلاكه؟ وطريقة التصادم مع المجتمع الدولي في المشروع النووي؛ أليست تشتت انتباه العالم عن جرائم المشروع الصهيوني؛ بحجة أن النظام الإسرائيلي النووي نظام عاقل بعكس النظام الإيراني المتهور وغير العاقل؟! **هذه السياسات الإيرانية في الحقيقة** لا تخدم إلا المشروع الصهيوني؛ من خلال إشغال الدول الإسلامية بنفسها جراء أطماع المشروع الإيراني، وتفتيت الصف الإسلامي نتيجة الإستقطابات الإيرانية، وصرف إنتباه العالم عن جرائم الصهيونية بسبب الخطابات العنترية، والسياسات، والتدخلات الإيرانية المقلقة، والمشروع النووي المريب! **لقد عانت أمتنا من قبل كثيرًا** جراء الفساد السياسي الرسمي، ورفض أو تأجيل مشاريع الإصلاح من قبل الأنظمة بدعوى أنه لا صوت يعلو على صوت المواجهة مع العدو الصهيوني، وكانت النتيجة: بقاء العدو الصهيوني، وبقاء الفساد السياسي!!

واليوم نجد الواقع نفسه لكن بصورة معكوسة، فكثير من قوى المعارضة التي تنادي بالإصلاح، وتقول أن الإصلاح لا يتعارض مع مقاومة الصهيونية؛ هي نفسها التي ترفع الصوت عاليًا برفض نقد ومقاومة المشروع الإيراني؛ بحجة أن هذا يخدم المشروع الصهيوني، وأنه لا صوت يعلو على صوت المعركة، وأنه لا وجود أصلًا للمشروع الإيراني! **وأخشى ما نخشاه** أن تكون المحصلة هي: تقاسم ما بقي للدول العربية والإسلامية بين المشروع الصهيوني، والمشروع الإيراني!!

إن إدراك أن المشروع الإيراني هو مشروع معتدٍ؛ يحاول سرقة ما بقي من رأسمال لنا في مواجهة المشروع الصهيوني حقيقة لا بد من إدراكها أولًا، **ومن ثم يجب** التصدي له بحزم؛ كما يجب التصدي بحزم أكبر للمشروع الصهيوني، حتى لا تبقى هذه الدعوى الصحيحة حجة للمشروع الإيراني لبلعنا بدل مقاومة المشروع الصهيوني!!



فرق
الولايات المتحدة الأمريكية
سادساً: النوبية

تنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم أكثر من (٧٥٠) مؤسسة وهيئة ومنظمة إسلامية، تتبع لعدد كبير من الفرق، وتمثل خلفيات لغوية، ووطنية، وعنصرية مختلفة.

هذه الفرق -المنتسبة للإسلام في أمريكا-: بعضها فرق وافدة؛ نشأت خارج المجتمع الأمريكي، ولها جذور في أمريكا، والبعض الآخر: تنتسب إلى أمريكا أصلاً ومنشأ.

وقد قدّمنا في «الراصد»؛ وتحديداً في العدد (الخامس عشر)، تعريفاً مختصراً ببعض الفرق التي تنتسب إلى أمريكا أصلاً ومنشأ، وهي: أمة الإسلام في الغرب (البلاليون)، والفراخانية، والأنصار.

وقد صدر مؤخراً كتاب مفصل عن (فرق الولايات المتحدة) بعنوان: «أشهر الفرق الأمريكية المعاصرة المنتسبة للإسلام، وأثرها العقدي» وهو في الأصل رسالة (ماجستير)، للباحث الأستاذ فهد بن عبد العزيز السنيدي.

وقد ارتأينا التعريف بها، بشكل مفصّل؛ كما وردت في رسالة السنيدي.

والفرق التي يتناولها الكتاب هي: (المورية، الفرضية، الإليجية، الفرحخانية، النوبية، البلالية، السايلسية).

k ويجدر أن نشير إلى أن هذه الفرق: تشترك في أمور عديدة، منها:

١ - أن مؤسسيها هم: من الزنوج؛ الذين نشروا دعوتهم وأفكارهم بين أبناء جلدتهم من السود، وقد تعصب هؤلاء للونهم وعرقهم، ومنعوا البيض من الانضمام لدعوتهم، واعتبروهم رمزاً للشر والباطل.

٢ - تأسست هذه الفرق والدعوات: بعيداً عن العلم الشرعي، وسادها الجهل؛ نتيجة البعد عن العالم الإسلامي، وتأثرت بما يسود في الولايات المتحدة من أفكار وعقائد.

٣ - الانحراف الشديد، والابتداع، والغلو: بحيث أن بعضها ضلّ في تحديد الخالق ﷻ، فيما ادّعى بعض مؤسسيها: (النبوة)، والبعض ألّهَه أصحابه!! -والعياذ بالله-.

---

(١) يمكن الإطلاع عليه عبر الرابط التالي: http://alrased.net/show_topic.php?topic_id=331

النوبيـة

تمهيد:

تنسب هـذه الفرقـة إلى دوايـت يـورك (Dwight York)، المولود في سنة (١٩٤٥).

وقـد دخـل إلى السـجن في أوائـل السـتينيات بتهمـة السرقـة وتعـاطي المخـدرات، وفي السـجن تعـرف عـلى تعاليم «الإليجية» التي تم التعريف بها في العدد (٦٧) من هـذه الزاويـة، وتعـرف في السـجن -كـذلك- عـلى بعـض الديانات؛ كاليهودية، والهندوسية.

وفي سـنة (١٩٦٥) أفـرج عـن يـورك، فـذهب إلى مسـاجد الإليجيـة، وأشـهر إسـلامه، واتخـذ لنفسـه اسـم: (عيسى عبد الله).

ثـم أسس في سنة (١٩٦٧) جمعية «أنصار الصوفية الخالصـة»؛ كمـزيج مـن القوميـة السـوداء (العرقيـة)، والإسـلام -عـلى طريقـة إليجـا-، ولاقـت دعوتـه -هـذه- إقبالًا من قبل الشباب السود؛ الذين كانوا يعيشون في تلك

الفترة أوضاعًا اقتصادية صعبة، واضطهادًا من قبل البيض.

كان شعار الجماعة في تلك الفترة: هلالًا بداخله نجمة سداسية.

وفي عام (١٩٦٨) غير عيسى اسم الجماعة إلى: «جمعية النوبيين - Nubians Community»، معتبرًا أن النوبيين أقاموا أول حضارة في العالم في أفريقيا على ضفاف النيل، ونصّب نفسه إمامًا لهذه الحضارة.

ومد عيسى جسور العلاقات مع النوبيين في جنوب مصر، وشمال السودان، باعتبارهم ورثة ذلك التراث الأسود.

وفي سنة (١٩٦٩) غير اسم جماعته إلى: «الرابطة النوبية الإسلامية العبرانية Nubian Islamic Hebrews»، وفرض على أتباعه لبس طرابيش سوداء، وقطعة من العاج توضع على الأذن اليسرى.

وأخذ عيسى من الهندوسية نظام التسول الجماعي، وفرضه على أتباعه الذكور؛ ما عدا العاملين، والمتعلمين، ومساعديه، وكانوا يسلمون ما يجمعون من التبرعات إلى عيسى؛ الذي كان يتصرف فيها كما يشاء.

وفي عام (١٩٧٣) زار عيسى مكة المكرمة، ثم توجه إلى السودان، وزار قبر المهدي (الثائر وزعيم الطريقة الصوفية) في أم درمان، والتقى بأفراد أسرته، والتقط الصور معهم، محاولًا إضفاء الشرعية على فرقته.

ثم ادّعى بأنه من أحفاد محمد المهدي، وغير اسمه إلى: «الإمام عيسى المهدي».

وزار الصادق المهدي -رئيس الوزراء السوداني السابق، وزعيم الطريقة المهدية الصوفية في عام (١٩٧٨) النوبيين، وشارك في حفلاتهم، ومدح جهودهم، وإن كان انتقد بعض الأشياء عليهم مثل: استعمال الإنجيل في صلواتهم وشعائرهم.

بعد ذلك؛ اسقط عيسى النجمة السداسية من شعار الجماعة، واكتفى بشعار المهدية، وأضاف إلى الشهادتين عبارة: «**وأشهد أن محمد أحمد المهدي خليفة رسول الله ﷺ**»!

وفي عامي (١٩٧٩ و١٩٨٠) ادّعى عيسى بأنه مجدد القرن، والمسيح الموعود، ووزعت النشرات باسم: «مخلصنا قد رجع - Our Savior Has Arrived»، وكان في تلك الفترة يخشى من احتمال اندماج أتباعه في التيار الإسلامي العام، ومن معرفتهم بحقيقة دعوته وانحرافها، فجعل الإنجيل مصدرًا وثيقًا للتعاليم الدينية مثله مثل القرآن الكريم.

وفي سنة (١٩٨١) أصدرت الفرقة مجلة جديدة سموها: «نشرة قرية الأنصار - The Ansar Village Bulletin»، وأضافوا إلى الفرقة اسم: «اتحاد المسلمين في المنفى».

وازدهرت الفرقة بعد ذلك في مراكزها الثلاثة: في نيويورك، وفيلادلفيا، وفي جزيرة ترينداد، ولكن بعدها عن الإسلام الصحيح، ومخالفته في العقائد والعبادات والتصورات؛ جعل الكثيرين ينسحبون منها.

وفيما يلي بيان بأهم عقائد النوبية:

١ - مفهوم الإلوهية:

أثبت عيسى أسماء الله وصفاته في نشرات الفرقة، غير أنه اخترع لله صفة أخرى تدل صراحة على فكرة وحدة الوجود، فيقول: «...والواقع أن الله هو الكلم «AL-kullum» (كل - The All)»، أي: هو مجموع ما في الكون، ولا يمكن زيادة شيء على الكل، ولا نقصان شيء منه...».

كما اخترع عيسى لله صفة هي: «النبض».

واعتقد بحلول الله في السود -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا-.

وقال كذلك باتحاد الله مع مخلوقاته؛ حيث جعل

الفلك السابع أو السماء السابعة فلك الاتحاد بالله، فقال: «إن الأفلاك أحوال وأنواع ذبذبة في أشكال متحدة وفريدة، وعددها سبعة أسفلها، وأبطأها الفلك المادي، وأسرعها وأعلاها الفلك الذي فيه يتحد أحدنا بالله الخالق ﷻ تمامه».

وقال عيسى -كذلك- بالتنجيم؛ حيث جعل للكواكب تأثيرًا في حياة الإنسان، وقال: «تتأثر المرأة بالكواكب وأوضاعها، كما تتأثر بالقمر».

ومع أنه كان كثيرا ما ينكر على المسيحيين تصويرهم الإله في صورة الإنسان؛ إلا أنه قام في بعض مؤلفاته بتصوير يد آدمي وسماها: «يد الله».

وأشرك عيسى مع الله غيره؛ عندما جعل للملك الأعلى دورًا مباشرًا في خلق الإنسان والجن، وجعل لبعض الخلق بعض صفات الله ﷻ.

٢- مفهوم النبوة:

قسّم عيسى المهدي الأنبياء تقسيما غريبًا! فقال: «يكون النبي في أحد صنفين: النبي؛ وهو الذي يأتي بكتاب جديد، والصنف الآخر: الأمي؛ وهو الذي يأتي بكتاب جديد، ويشرح الكتاب السابق، **أما الرسول**: فله رسالة خاصة؛ وهي شرح الكتاب السابق».

وعند عيسى المهدي! فإن كبار الأنبياء هم سبعة، يمثل كل واحد منهم مدرسة من مدارس الحياة، فيقول: «آدم يمثل النظام، ونوح يمثل الإيمان، وإبراهيم يمثل التضحية، وإسماعيل يمثل الثبات، وموسى يمثل الصبر، وعيسى يمثل العفو، ومحمد يمثل الموت، والسلام».

ويعتقد عيسى وأتباعه بأن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا سودًا نوبيين، أما النبي عيسى -في اعتقادهم- فهو ابن لجبريل!! وأنه لم يصلب، لكنهم كانوا يعتقدون بأن عيسى عليه السلام -بعد أن نجاه الله من الصلب، وصلب بدلا منه يهوذا- تجول في الأرض مسافرًا إلى الهند، والتبت، وبلاد فارس، وسوريا، واليونان، ومصر، وأنه قضى عشر سنوات في كل مكان من هذه الأمكنة؛ يشفي الناس، ويعلمهم، ويتعلم منهم.

ويعتقد النوبيون: أن عيسى عليه السلام قُبل في مصر كطالب، وامتحن سبع مرات امتحان الإخلاص، وامتحان العدل، وامتحان الإيمان، وامتحان الإحسان، وامتحان الشجاعة، وامتحان الحب الإلهي، وامتحان الموت.

وبعد نجاحه في هذه الامتحانات تسلم شهادة الدرجة العليا (روح الله)، وكان عمره -آنذاك- (١٢٠) سنة، ثم تحول جسده إلى روح الهرم الأعظم بمصر!!

وينكر عيسى المهدي أن النبي محمد ﷺ هو أفضل الأنبياء، استنادًا إلى فهمه للآية: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾[البقرة: ١٣٦]، ويعتبر أن تفضيل نبي على نبي آخر ذنب، بما أن الأنبياء والرسل أرسلوا لأداء واجبات معينة.

٣- موقفها من الكتب السماوية:

نفى عيسى المهدي أن تكون الكتب السماوية قبل القرآن الكريم قد أصابها التحريف، فقال: «كل كلمة في القرآن من الله؛ وهي حق مبين، وكذلك التوراة، والإنجيل، والزبور»، لذلك أخذ عيسى في مؤلفاته يفسر آيات القرآن من الإنجيل، والعكس بالعكس، وادعى أن (سفر الرؤيا) في العهد الجديد هو عين إنجيل عيسى.

٤- مفهوم الجنة والنار:

يعتبر عيسى: أن الجنات السبع هي مراحل يمر بها كل أحد للوصول إلى الله ﷻ.

أما النار -عنده-: فهي غير أزلية، وهي لتطهير النفس التي أضاعت فرصتها في الدنيا، ويقول: «ليست جهنم لتعذيب النفوس؛ كما ظننتم أو تعلمتم... وجهنم هي الفرصة الثانية لتطهير النفوس؛ لمن أضاع فرصته في الدنيا».

والجحيم في تعاليم عيسى داخل كل إنسان؛ وتحديدًا في صدره وقلبه، ويقول: «إذا مت جسديًّا تذهب مباشرة إلى الجحيم، وأنت الذي تحدد مدة بقائك في الجحيم، فإن ظننت أنك ستبقى فيه لمدة طويلة، لم تمكث فيه غير مدة قصيرة».

ومن معتقدات هذه الفرقة: أن الله لا يحاسب الإنسان حسب أعماله، بل ذنوبه هي التي تحاسبه، ويقول عيسى: «سوف تحاسبكم ذنوبكم، ولا تحاسبون من أجلها».

٥ - خلق الإنسان وحقيقته:

للنوبية تصور خاص لخلق الإنسان وحقيقته، يعبر عن ميلهم العنصري، واعتمادهم على الفلسفة اليونانية، ومن ذلك: اعتقادهم بأن الله لم يخلق آدم مباشرة، فيقول عيسى: «خلق الإنسان في حالة روحية قبل خلقه في شكل مادي على الأرض، وفي هذه الحالة كان الإنسان عقلًا، فالعقل كان موجودًا قبل ست وسبعين تريليون سنة من ظهور الجسد في حيز الوجود».

وفي اعتقاد عيسى: أن الله لم يخلق آدم خلقًا مباشرًا، بل شكله أحد الملائكة؛ وكذلك خلق حواء جسديًّا في اليوم الثاني، ويعتقد بأنه بعد انتهاء «عزرائيل» من تشكيل جسد آدم -عند ملتقى النيل الأبيض والنيل الأزرق- ذهب به إلى الجنة ليسكن فيها، ثم شكل جسد حواء في نفس الموقع من بقايا خلق آدم، وذهب بها إلى زوجها آدم لتسكن في جنات عدن.

ويعتقد عيسى: أن الرجل الأسود ذو روح من روح الله، وله نفس حية، وللمرأة السوداء نفس حية -أيضًا-؛ ولكن لا روح لها.

أما البيض -ذكورًا كانوا أم إناثًا- فلهم روح من الشيطان؛ ولا نفس لهم، فلا حساب لهم بعد الموت ولا جنة، بل يرمون في الهاوية أبد الآبدين.

موقفهم من العبادات:

لا يعرف على وجه التحديد فلسفة الصلاة عند النوبية، ولا عددها ولا أوقاتها، ولا كيفيتها، مما يرجح الاعتقاد بأن النوبيين لم يكونوا يعرفون الصلاة؛ كما هي معروفة عند المسلمين.

وكذلك الأمر بالنسبة لأركان الإسلام الأخرى كالزكاة، والصيام، والحج. وكل ما يعرف عنهم في هذا الشأن: تقديسهم يوم السبت؛ كاليهود، وقراءة التوراة فيه.

جانب من نظامهم الاجتماعي:

سبق القول أن عيسى المهدي فرض على أتباعه التسول، وتسليم ما يجمعونه إليه، وفرّق بين النساء والرجال في مساكنهم على نظام المهاجع، وألزم جميع النساء السكن في مركز الفرقة، والرجال في مبنى آخر يقابله، كما خصص غرفة واحدة في المركز للاتصال الجنسي بين المتزوجين من الأتباع بعد أخذ إذن بذلك، ويمكن منع العضو من دوره إذا لم يجمع الحد الأدنى من التبرعات.

أما النساء؛ فحدد لهن عيسى أعمالًا جماعية معينة، مثل: الطبخ، والحياكة، والغسيل.

وحرم عيسى على أتباعه الخمر والتدخين، وأكد على احتشام المرأة و ارتدائها الحجاب، لكنه حرم أمورًا أخرى على أتباعه مثل: أكل ما حرم على بني إسرائيل في التوراة، كما حرم عليهم بعض الأواني والأقمشة، مثل: الأواني الخضراء؛ لأن هذا اللون خصص للجنة، وحرم -كذلك- أكل لحم الإبل.

وفي مقابل هذه الأشياء التي حرّمها عيسى أباح إتيان المرأة من دبرها؛ خلافًا للشريعة التي منعت من ذلك.

] **للاستزادة**: «أشهر الفرق الأمريكية المنتسبة للإسلام» - فهد السنيدي.

المعز بن باديس يثور على العبيديين في الشمال الإفريقي

هيثم الكسواني

في تاريخ المغرب العربي الكثير من الصفحات المجهولة قياسًا بالمشرق؛ الذي شهد الأحداث الجسام، وسُلطت عليه الأضواء؛ بحيث أصبحت الأحداث في المغرب[1] شيئًا مجهولًا لمعظم المسلمين؛ لا سيما سكان المشرق.

نتناول في هذه السطور: أحد أبرز شخصيات المغرب العربي في القرن (الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي)، وهو: المعز بن باديس؛ الذي كان له الدور الكبير في محاربة الدولة العبيدية الفاطمية، وإعادة الشمال الإفريقي إلى مذهب أهل السنة؛ كما كان عليه قبل قدوم العبيديين، أصحاب المذهب الشيعي الإسماعيلي، إليه.

وابن باديس -الذي كان أميرًا للدولة الزيرية، أو دولة بني زيري- قام في المغرب بما قام به صلاح الدين الأيوبي رحمه الله في المشرق، فإن صلاح الدين تمكن في سنة (٥٦٧ هـ - ١١٧١م) من القضاء نهائيًّا على الدولة العبيدية في مصر، وما تبقى من أراضيها، وإعادة مصر إلى مذهب أهل السنة كما كانت[2].

تبدأ سطور هذا العدد في عام (٢٩٧هـ - ٩١٠م)، ففي ذلك العام تمكّن عبيد الله المهدي من تأسيس الدولة العبيدية؛ التي نسبت نفسها إلى آل البيت، وتسمت بـ: (الفاطمية)، وكان عبيد الله أول حكامها، ثم احتلت هذه الدولة مصر في سنة (٣٦٢ هـ - ٩٧٣م) في عهد رابع حكامها، المسمى: (المعز لدين الله)، ثم توسعت باتجاه الشام، والحجاز، وأنحاء أخرى.

وفي الشمال الأفريقي اعتمد حكم العبيديين على استمالة بعض القبائل هناك، وعلى ضرب بعضها ببعض؛ من أجل تقوية نفوذهم.

ومن القبائل التي اعتمد عليها العبيديون في حكم المغرب العربي والسيطرة عليه: قبائل بني زيري البربرية؛ لاسيما مع توجه العبيديين إلى مصر، وتوجيه الاهتمام لها، باعتبارها درّة الدولة العبيدية الفاطمية، وبالمقابل إهمال المغرب العربي، وتكليف بعض القبائل بإدارته نيابة عنهم.

ويعتبر أبو الفتوح يوسف بُلكين بن زيري أول أمراء هذه الدولة التي قامت في تونس وما حولها نيابة عن العبيديين.

وقد أظهر خلال فترة حكمه (٣٦٢-٣٧٣هـ / ٩٧٢-٩٨٣م) ولاءً للعبيديين ومذهبهم الشيعي الاسماعيلي، إلّا أنه لم يكن بدرجة تشددهم وعدائهم لأهل السنة ومذهبهم، فانفسح المجال نسبيًّا أمام أهل السنة لنشر مذهبهم.

وكانت العلاقات بين حكام الدولة العبيدية وأمراء الدولة الزيرية قوية، وكانوا -دائمًا- يتبادلون الهدايا، مع

(١) يشمل المغرب العربي -أو الشمال الأفريقي حاليًا- دول: ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا.

(٢) يمكن قراءة المزيد على الرابط التالي:
http://alrased. net/show_topic. php?topic_id=360

أن فترات من الفتور أو التوتر كانت تعتري هذه العلاقات -أحيانًا-.

وفي سنة (٤٠٦هـ -١٠١٥م) تولى حكم الدولة الزيرية المعز بن باديس بعد وفاة أبيه منصور بن بلكين، وفي عهده حدث تحول في مسيرة هذه الدولة وعلاقتها بالعبيديين.

ويجدر في البداية: أن نذكر شيئًا من سيرة المعز وصفاته، يقول ابن الأثير: «كان رقيق القلب، خاشعًا متجنبًا لسفك الدماء؛ إلاّ في حد، حليمًا، يتجاوز عن الذنوب العظام، حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه، مكرمًا لأهل العلم، كثير العطاء، كريمًا..»، ويقول الذهبي عن ابن باديس: «وكان ملكًا مهيبًا، وسريًّا شجاعًا، عالي الهمَّة، محبًّا للعلم، كثير البذل...».

أما التحول الذي حدث في حياة ابن باديس، وبالتالي في مسيرة دولته، واتجاهه نحو السنة ومعاداته للعبيديين؛ فيعيدها المؤرخون إلى معلمه أبي الحسن الرجال؛ الذي كان أحد فقهاء المالكية الذين تمكّنوا من الوصول إلى ديوان الحكم في الدولة الزيرية، فأثّروا في بعض الوزراء والأمراء، وفي أبنائهم.

وكان الرجال ذا علم وعقيدة سليمة، وكان مبغضًا للعبيديين وعقيدتهم الفاسدة، وتشرب التلميذ المعز بن باديس هذه الأفكار من أستاذه؛ لتكون له -فيما بعد- منطلقًا لنشر السنة، ومحاربة البدعة، ودولتها العبيدية.

وبالفعل؛ بدأ المعز بن باديس بنشر مذهب أهل السنة، والتقرب إلى العامة والعلماء والفقهاء من أهل السنة، وعندما بدأ مذهب أبي حنيفة ينتشر، حمل أهل بلاده على مذهب مالك؛ حسمًا لمادة الخلاف.

ووسّع المعز قاعدة أهل السنة في ديوانه، وجيشه، ودولته، وبدأ حملة تطهير، فأوعز للعامة ولجنوده بقتل من يظهر سبّ أو شتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأعلن ابن باديس انضمامه للخلافة العباسية، وغيّر الأعلام إلى العباسيين وشعاراتهم، وأحرق أعلام العبيديين وشعاراتهم، وخرّب مؤسساتهم، وألغى العملة التي كان عليها أسماء ملوك العبيديين، وضرب السكة باسمه، وأمر بلعن العبيديين على المنابر، وأعلن الخروج عن طاعتهم.

وفي مقابل محاربته للعبيديين ومذهبهم الاسماعيلي؛ قضى المعز على المذاهب المخالفة لأهل السنة، وعلى رأسها: الصفرية، والنكارية، والمعتزلة، والإباضية.

ولقد أشاد أهل السنة بما قام به ابن باديس من حماية للسنة، ومحاربة العبيديين، فأنشد أحد شعرائهم يقول:

يا معز الدين عيش في رفعة
وسرور واغتباط وجذل
أنت أرضيت النبي المصطفى
وعتيقًا في الملاعين السفل
وجعلت القتل فيهم سنة
باقاصي الأرض في كل الدول

وبقدر ما حظيت اجراءات ابن باديس وسياساته برضى أهل السنة وقبولهم، أثارت استياء العبيديين وحقدهم، فقد أرسل المستنصر بالله -ثامن ملوكهم- رسالة تهديد ووعيد للمعز بن باديس، يدعوه فيها للعودة للمذهب الاسماعيلي، وطاعة الدولة العبيدية، ويقول فيها: «هلّا اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء؟»، فأجابه المعز: «إنّ آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخّروهم؛ لتقدموا بأسيافهم».

بعد رسالة المستنصر ورد ابن باديس؛ كان لا بد من انفجار الوضع بينهما، وعمد المستنصر العبيدي، بمشورة من وزيره اليازوري إلى خطة ماكرة للقضاء على ابن باديس ودولته، تمثلت بإغراء بعض القبائل -وخاصة بني هلال وبني سليم- للانتقال إلى المغرب العربي، وقتال ابن باديس والزيريين، مقابل حصولهم على أراضي دولة ابن باديس وخيراتها.

ثمة أسباب عديدة جعلت المستنصر ووزيره اليازوري يلجآن للقبائل العربية، منها: انشغال جيوش الدولة العبيدية بالحرب ضد القرامطة، وبمشروعاتها بالشام والمشرق عمومًا، ولأن طوائف من جيشها من نفس جنس المغاربة بل من قادتهم من هو من نفس قبيلة ابن باديس.

وبحكم أن هذه القبائل العربية اشتهرت بإشاعة القلاقل والاضطرابات في مصر، **فقد رأى العبيون أن نقل عرب بني هلال من صعيد مصر إلى شمال إفريقيا ليصطدموا بالزيريين، قد يحقق لهم فائدة مزدوجة: القضاء على ابن باديس ودولته، وتأسيس دولة موالية للعبيديين مكانها، ومن جهة أخرى: التخلص من بني هلال والفوضى التي كانوا يحدثونها للدولة العبيدية في مصر، ويؤيد ذلك ما قاله المستنصر: «والله لأرمينه بجيوش لا أتحمل فيها مشقة»**.

تحركت القبائل العربية باتجاه الشمال الإفريقي في سنة (٤٤٢هـ - ١٠٥٠م)، واصطدمت بجيش ابن باديس، واحتلت برقة وطرابلس (في ليبيا)، وأنحاء أخرى؛ برغم الاستبسال الذي أبداه ابن باديس.

ويعتقد أن القبائل العربية كان تعدادها (٤٠٠) ألف شخص، وقيل: مليون شخص.

ولمّا حاول ابن باديس الثأر لهزيمته؛ مُني بهزيمة ثانية في ذي الحجة من سنة (٤٤٣هـ - ١٠٥٢م)، واحتلت القبائل القيروان (في تونس)، وأرسلوا كثيرًا مما غنموه من قصور المعز بن باديس إلى مصر.

وتعد هذه المعركة بداية النهاية للدولة الزيرية التي خسرت معظم أراضيها.

أما ابن باديس،؛ فقد أيقن أن العبيديين مكروا به مكرًا عظيمًا، وكان من أسباب الهزائم المتلاحقة التي لحقت به: قوة القبائل العربية، وخذلان جنوده البربر له؛ لاسيما وأنهم كانوا لا يزالون يعظمون العبيديين.

انتقل المعز إلى مدينة المهدية في سنة (٤٤٩ هـ)، واتخذها عاصمة لدولته؛ التي انحصر نفوذها في المهدية وشريط ضيق حولها.

أما القبائل العربية؛ فقد أعادت إلى الشمال الأفريقي الدعوة الاسماعيلية، وأعادت التعامل بالسكة المستنصرية.

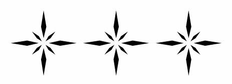
واستقر المعز في المهدية، وفوّض أمر الدولة وشؤون الحكم لابنه تميم.

وما هي إلاّ سنوات قليلة (٤٥٤ هـ) حتى توفي المعز بن باديس بعد حكم دام (٤٧) سنة.

] **للاستزادة:**

١ - «الدولة العبيدية الفاطمية» - د. علي محمد الصلاّبي.

٢ - «تاريخ الفاطميين» - د. محمد سهيل طقّوش.





مُـحرّكات السياسة الفارسيّة في المنطقة

-الحلقة الثانية-

الأستاذ عادل علي عبد الله[١]

[هـذه دراسـة قيمـة تتناول خلفيـات ودوافـع السياسـة الإيرانية -وسوف تصدر قريبًا-، آثرنا نشرها على حلقات لقراء «الراصد» حرصًا على تقديم كل جديد ونافع.

ونحن نرحب بتعليقات القراء الكرام وتعقيباتهم حول ما طرحته هذه الدراسة من أفكار ونتائج]. «**الراصد**»

أولاً: البُعد الإستراتيجي العقائدي:

عنـد الدراسـة المتعمقـة لعقيـدة المـذهـب الصـفوي الشـيعي يلاحَظ الميـل إلى «القَدَريّـة»[٢]؛ التي تـؤمن بـأن القَدَرَ ما هو إلا صناعةُ الإنسان، الأمر الذي يحُدد النظرةَ لله وللكـون، فهـو (الله) لا يقبلُ مجُرَّد النطـق بالشـهادتين، والاعتقـاد بإلـه واحـد لا شريـك لـه، بـل لا بـد مـن آل بيـت النبوة كأولياء، ومن ثم فكل ما هو مُهمٌّ عنده يَتَمَحوَر حَول آل البيت في البدء والختام، وبحُكم أن البداية كانت ظالمة لآل البيـت، فـالمنطق «القَـدَري» يحُـتّم أن تكـون النهايـة عادلـة، ويتمظهـر ذلـك في دولـة «الغائـب» المنتظـر؛ التـي ستُغيّر مـوازين القـوى لصـالح الخـير، وتهـزم كـل الشر؛ المتُمظِهر في اليهود و«النَّوَاصِب».

وبهـذا يُمكـن فهـمُ هـذا البُعـد في إطـاره السـياسي، الـذي يُمكـن أن نُطلقَ عليـه: «العقيـدة الوظيفيـة»؛ إذ تراهـا ترتكـز عـلى أسطورتَـي: مقتـل الإمـام الحسـين، وظهـور المهدي المنتظر[٣].

---

(١) كاتب وباحث بحريني.

(٢) يرى أصحاب هذا الاعتقاد أن كل فعل للإنسان هو إرادته المستقلة عن إرادة الله، حتى عُرف عن بعض غُلاتهم نفي علم الله، أو قدرته على خلق أفعال العباد، فاشتُهر عن بعضهم (=معبد بن خالد الجهني) القول: «لا قَدَرَ، والأَمرُ أُنُفٌ»؛ ليخرج بهذا فعل الإنسان عن نطاق قدرة الخلاّق سبحانه، وأن علمه تعالى يأتي بعد وقوع الفعل، فيُستأنفُ القَدَرُ بعد العلم، وهذا ما يجعل الإنسان خالقًا لفعله.

وقد ناقش بعض المؤرخين سبب تسميتهم بـ: «القدرية» على الرغم من إنكارهم «القدر» الذي هو ركن من أركان الإيمان، فقال قوم: إنهم نفوا القدر عن الخالق، وأثبتوه للمخلوق؛ إذ جعلوا كل شيء لإرادة الإنسان وقدرته، فكأنما أعطوا الإنسان سلطانًا على القدر، ويميل البعض إلى أن هذا الوصف ذكرهم به مخالفوهم لينطبق عليهم الأثر: «القدرية مجوس هذه الأمة»، ويعلل الشيخ مصطفى صبري -كبير علماء الدولة العثمانية- ذلك لمقاربته رأي القدرية لبعض عقائد المجوس؛ الذين ينسبون الخير إلى الإله، والشر إلى الشيطان، لأن الإله لا يريد الشر. للتوسع ينظر: محمد أبـوزهرة «تـاريخ المـذاهب الإسـلامية»، دار الفكـر العـربي - القـاهر (١٩٩٦م).

وتُعد مسألة «القدرية السياسية» قاسمًا مشتركًا بين صنَّاع الحدث الدولي في منطقة ما يُسمى: «الشرق الأوسط»، فالأمريكان البروتوستانت واليهود المتصهينون، إضافة إلى أتباع مذهب «ولاية الفقيه» الصفوية، يؤمنون بأن =

= القـدر لا يتحـرك مـن نفسـه، ولا بـد مـن تحـرك المـؤمنين بقـدوم «المخلـص/الماشـيح/الغائـب» للتمهيـد لمقدمـه ليقـودهم إلى الـنصر والتمكين، وبسط دولتهم على العالم كله من ثَمَّ.

(٣) كان الخلاف محتدمًا بين المدرسة الأصولية ونظيرتها الإخبارية حتى كتبت الغلبة للأصولية مطلع القرن الثامن عشر؛ والخلاصة أن الإخبارية ادعت أن المؤمن لا يستطيع أن يفهم القرآن والحديث (النبي والأئمة) وليس في حاجة إلى اتباع إرشادات المجتهدين، وكل ما عليه هو التقليد والمتابعة، وهذا يقتضي توارث حق الاجتهاد، وعدم توسيع دائرته لبروز مجتهدين جدد.

وعلى العكس كانت المدرسة الأصولية، التي ترى أنه على الرغم من أن أسـس الإيـمان وردت في القـرآن والأحاديـث، لكـن المـؤمنين بحاجـة للمجتهدين المتعلمين ليفسروا لهم العقيدة، وتطورت المدرستان، وخاصة العقيدة الأصولية على يد مرتضى الأنصاري، مرجع التقليد منتصف القرن التاسـع عشر، وجعـل الوجـوب عـلى كـل مـؤمن اتبـاع تعـاليم أحـد =

في الركيزة الأولى: يجتمع التيار الفارسي الصفوي (الأصولي) مع التيار الجعفري العربي (الإخباري) في إبقاء جذوة أسطورة مقتل الإمام الحسين ﷺ كمادة تحشيد اجتماعية، بغرض استنزاف العاطفة الجمعية، لكنهما يختلفان في منهجية التوظيف؛ إذ تكتفي المدرسة الثانية (الإخبارية العربية) بإبقاء العاطفة، وتتقدم عليها الأولى (الأصولية الفارسية) بتوظيفها في أجندة سياسية أيديولوجية، في مُقاربة مَلحَمية من «آلام المسيح»، أو «الهولوكوست» اليهودي، تُغذّي الضميرَ الجماعيَ نحو هدفٍ مُوحَّد؛ **فيظهر جليًّا أن جوهر الشعائر السنوية الحُسينية هو صناعة «العدو» (الخصم/الآخر/الناصبي) الظالم اللّعين**؛ فتلتهبُ مشاعر الشيعة حُزنًا على «البطل الضحية»، الذي ضحَّى مخْتارًا بنفسه لأجل شيعته، ومن ثمَّ يَعِدُ بالجنة كلَّ من بكى عليه وتألم لأجله، أو دعا -لنفسه وذريته من بعده- بأن يكون من الجنود الذين ينتقمون من «الآخر» تحت راية المُنتَقِم المنتظر «المهدي»؛ الذي هو القائد الأعلى للقوات المسلحة فيُحيي قَتَلَةَ الحسين من مراقدهم، ويقتل العربَ، ويصُلبُ الخونة الأوائل (الصحابة) وأبناءَ العرب!!

لقد أخذت هذه الأساطير والقصص والرؤى تُغذي العقلَ الشيعي -عبر أجيال- بكراهية قاتل الحسين ﷺ، وظلَّ الضمير الشيعي يتغذى بالانتقام والكراهية كُلما مرَّ به طيفُ الحسين صَريعًا في كربلاء؛ مقطوعَ الرأس، قتيلَ الأبناء، فتَنضَحُ المشاعر بـ «آلام عاشوراء» المُصطَنعة؛ إذ ليس هدفُ الصُّنّاع الكبار لهذه الملحمة التكفيرَ عن خيانةِ الحسين، أو جمعَ شتات الأمة من بعده، كما نهج إمامهم الثاني أخوه الحسن -رضوان الله عليهما-؛ الذي حقن حمَّام الدم المتدفق من أرض الفتن والشقاق والنفاق[1].

جعل الصفويون الفرس التركيز على المسائل الخلافية أحدَ أهم المناهج التربوية لمذهبهم الأيديولوجي، فعملوا على إظهار أهل السُّنة بمظهر المعادي لآل البيت، وإطلاق تسميات: «النواصب»، و«المُعادون»، و«الوهابيون» (بعد المرحلة السعودية)، فيَتَغَذَّى بها الشيعيُّ منذ نعومةِ أظافره، فينشأ مُقتنعًا أن السُّنيَّ هو عَدُوُّه الأول، من خلال استماعه للخطب واللطميات (التي أصبحت على هيئة أناشيد تصدح في آذانهم صباح مساء خلال مناشط حياتهم)، والتي تُقدَّم له في المناسبات المتعددة التي ابتدعها الصفويين لنشر ثقافتهم وترسيخها في أذهان أتباعهم، فعلى الرغم من اختلاف هذه المناسبات إلا أن الخطابَ فِيهن واحدٌ[2]، لا

= «المجتهدين» الأحياء، ومتى وجد مجتهد رئيسي واحد؛ فإن تعاليمه تحظى بالأولوية على تعاليم المجتهدين الآخرين، حتى أصبح «المجتهدون» مؤهلون لتفسير وصية الإمام الغائب المعصوم، وتمتع العلماء المجتهدون بنفوذ اجتماعي، واقتصادي، وسياسي يفوق الحاكم السياسي، وخاصة فترة حكم أسرة القاجار (١٧٩٦-١٩٢٥). نيكي كيدي «الثورات الإيرانية من منظور مقارن» (ص٤٧١)، مكتبة مدبولي - القاهرة (١٩٩٩).

(١) نقرأ في سيرة الإمام الحسين ﷺ أنه كان يبكي يوم كربلاء حزنًا على قاتليه الذين سوف يدخلون النار بسببه، وهذا قمة خُلُق وإنسانية آل بيت النبوة؛ في وقت يجعل مدعيّ حُب الحسين ذكرى مقتله وسيلةَ بغضاء وعداوة بين المسلمين المحبين للحسين؟!

إن الأمرُ له وجهٌ آخر يخْتفي ويُعلن بحسب الظروف الزمانية أو المكانية، والمتأمل في تاريخ المسيرات اللطمية عبر التاريخ الإسلامي يَجِدُ أنها تُغذِّي الكراهية والحقد بين المسلمين، فما كان يحصل بين السنة والشيعة منذ عام (٣٣٨) في بغداد، وما تلاه من أعوام متفرقة من القرن الخامس والسادس.

يراجع «تاريخ الذهبي وابن كثير» في حوادث السنوات: (٤٠٦/٤٠٨/٤٢١/٤٢٢/٤٢٥/٤٣٩/٤٤٣/٤٤٤/٤٤٧/٤٨٢/٥١٠)، ومن ثم القرون التالية وإلى الوقت الحالي، والتاريخ أكبر دليل على أن هذه المسيرات مِعوَلُ هدم لوحدة الأمة؛ وهي (=الأمة) تسأل حين تسمع سنويًّا شعار «يا لثارات الحسين!» مِمَّن ستكون ثارات الحسين وقد انقضى زمن الأمويين؟؟

(٢) قائم على سَبِّ العرب والمسلمين، وتكفير ولعن الصحابة؛ بدعوى =

يُتلى فيها قرآن، ولا يقرأ خلالها حديث، ولا تُبرز عظمة الحضارة الإسلامية التي أنارت عقول العالم(١).

ولبقاء جذوة الأسطورة مشتعلة على مدار العام قسَّموا المناسبات إلى شقين: الأول: للأفراح، والآخر للأحزان.

فأما مناسبات الفرح فأبرزها: «عيد الغدير»(٢)، وهي -عندهم- مناسبةُ تنصيب علي بن أبي طالب -كرّم الله وجهه- خليفةً على المسلمين من بَعدِ رسول الله ﷺ.

= تحريفهم للوصية بالخلافة، وسُكُوتهم على مقتل أئمة الشيعة على يد الخلفاء الأمويين والعباسيين.

(١) تعترف جمهورية إيران الإسلامية اليوم أن (٩٠%) من الشعب الإيراني لا يعرف قراءة القرآن، و(٧٠%) منهم لا يعرفون مفاهيم الإسلام الضرورية، والغالبية من الإيرانيين لا يُصلي أصلًا، بل الكثير منهم يفتخر بالمانوية والساسانية أكثر من افتخاره بمحمد وآل بيته رضي الله عنهم أجمعين.

ومن المفارقات أن واقعة كربلاء لم يُؤرخها الشيعة؛ حيث لم يكن -آنذاك- طائفة تُعرف بهذا الاسم، وإنما أرَّخها علماء أهل السنة والجماعة الكبار من أمثال ابن جرير الطبري -السني لا الشيعي-، وغيره، ولو لم يكن هؤلاء العلماء مُحبّين للحسين لما دونوا مأساته وأعدوا لها فصولًا في كتبهم.

كما أن الملفت للنظر أنه في الأيام العاشورائية يُكثر الشيعة من قول: «هيهات منا الذلة» المنسوب للحسين -رضوان الله عليه-، ويجعلونه في مقدمة الشعارات التي ترفع في هذه المناسبة، بمعنى عدم الرضوخ والذلة للغازي والمحتل والظالم للمسلمين، إلا أن هذا الشعار أصبح لا معنى له اليوم، فالغزاة يسرحون ويمرحون في ديار الإسلام، وهذه أضرحة آل بيت النبوة وحوزة النجف العلمية التي تتزعم مرجعيتها الشيعة في العالم وتسير مواكب اللطم وشق الرؤوس؛ نراها تُحاط بدبابات الغزاة الصليبيين الذين انتهكوا حرمة المقدسات الشيعية في العراق قبل غيرها، فأين إذن شعار «هيهات منا الذلة»؛ وقد قبّلت العمائم يد الجندي الأمريكي، وصلت على جثمانه، وتحالفت معه لاحتلال مقر خلافة الإمام علي ومكان واقعة كربلاء التي انطلقت منها كلمة ابنه الحسين رضي الله عنه ؟

(٢) نسبة إلى موقع (غدير خُم): محَطِّ رِحَال الرسول ﷺ عند عودته من حجة الوداع، وأهل السنة لايقرون للشيعة أنه جرى فيه تنصيب علي خليفة على المسلمين.

أما المناسبة الأخرى فهي: «فرحة الزهراء»، في يوم مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد فيروز -أبو لؤلوة المجوسي(٣)-، إضافة إلى أعياد مواليد الأئمة الإثنى عشر على مدار العام.

أما المناسبات الحزينة فمن أهمها: عَشَرَةُ عاشوراء: الحكايةُ الملحميةُ لمقتل الإمام الحسين في وقعة كربلاء، ووفاةُ السيدة فاطمة الزهراء -رضوان الله عليهما-، وهي قصة ملحمية أخرى، إضافة إلى وفياتِ الأئمة الإثنى عشر على مدار السنة(٤).

هذه هي الركيزة الأولى في هذا البعد العقائدي الوظيفي، وتكمِّلها ركيزةٌ لا تقل عنها أهمية وهي: عقيدة رجعة «المهدي المنتظر»، وتختلف المدرستان الجعفريتان «الأصولية» و«الإخبارية» -أيضًا- في توظيف هذه العقيدة؛ إذ ترى المدرسة «الإخبارية» ضرورةَ انتظار خروج «المهدي» لبدء التحرُّك، وأي تحرك قبله باطل، في حين ابتكرت «الأصولية» حُزمة إجراءات أيديولوجية وظيفية تساعدها على المُضيِّ قُدُمًا في تهيئة الظروف الملائمة لخروج «المهدي»؛ وبعبارة أدق: مُساعدة القدر لدفع المهدي للخروج من غيبته.

تَبَنِّي عقيدة «المهدي المنتظر» -في صورتها المُبسَّطة- على أصل «عقلي» مفادُه أنه لا بد من إمام يَخلُف النبي ﷺ في الأمة؛ تكون له صلاحية النبوة من

(٣) من المفارقات أن سيدة نساء الجنة فاطمة الزهراء رضي الله عنها توفيت قبل عمر بن الخطاب بأربعة عشر عامًا، فقد توفيت بعد أبيها بستة أشهر!!

(٤) لعب دورَ الشرير في ملحمة مقتل الحسين عبدالله بن زيادُ بنُ أبيه وعمه يزيدُ بن معاوية، ولعب دور الشرير في وفاة فاطمة الزهراء عمر بن الخطاب، ومع كل إمام من أئمة آل البيت في المنظور الشيعي سيلعب خليفة من خلفاء الدولة العباسية دور الشرير فيها.

طاعةٍ وتشريع؛ مُنصوصٌ عليه شرعًا؛ فالإمامة -عند الشيعة- أمرٌ ربّانيٌّ نصَّت عليه النبوة، والخِيرَةُ وقعت على «علي بن أبي طالب» في خلافة مقام النبوة، ومن ثمَّ ساقوا الإمامة في ذريته، مُنتَقِلةً منه إلى ابنه الحَسَن فالحسين.

والواقع أن الإمامة انتقلت في ذرية الحسين فقط؛ حتى الحَسَن العسكري (الإمام الحادي عشر)؛ الذي مات دون أن يُعَقّبَ ولدًا؛ فتسببتْ وفاته في مأزق حقيقي، تفرقت على إثره آراء الشيعة الإثنى عشرية، فرجع بعضهم إلى جماعة السُّنة، وزعم بعضهم أن للحسن العسكري ولدًا أخفاه في سرداب[1].

وعليه؛ لا يَصِحُّ عند الشيعة -أصولية وإخبارية- إيمانُ المَرءِ؛ ما لم يُؤمن بتلك السلسلةِ من أوَّلها (ولاية علي بن أبي طالب لشيعته)، إلى آخرها (عهد المهدي المنتظر المُخلِّص)، فالمسألة -على هذا- فاصلة بين الإيمان من عدمه، وقبول الأعمال الشرعية وردها، كما يؤمنون -تبعا لذلك- بما سيفعله «المهدي المنتظر» بعد خروجه وظهوره[2].

(١) تقول الروايات: إنه دخل السرداب (٢٦٠ هـ) ولم يخرج حتى الآن! ويزعم آخرون أن المهدي يخرج بين الفينة والأخرى مترقبًا يُطالع أحوال شيعته!!

(٢) أوردت المصادر المعتمدة عند الشيعة الصورة النموذجية المتفق عليها عن دولة المهدي المنتظر، ووظيفته كخليفة أخير في سلالة بيت النبوة المعصومين؛ على ما تقتضيه الرؤية الإثنا عشرية، فهي تتلخص فيما رواه المجلسي عن رواية المفضل بن عمر، الذي توجه إلى الإمام جعفر الصادق بأسئلة عن يوم القيامة وعلاماتها، والمهدي وعلامات ظهوره وتأسيس دولته، فأعلمه أن المهدي لم يكن حتى موت أبيه يرى غير أصدقائه والمؤمنين الصادقين، ولم يبق المهدي بسامراء حين اختفائه، بل انتقل إلى قصر صابر في المدينة، وبعد أن أقام هناك ست سنوات اختفى عام (٢٦٦هـ) عن الأنظار كلها، وأصبح يعيش بعدها في الخفاء.

عندما يذهب المهدي من قصر صابر إلى مكة يلتقى هناك بالملكين جبرائيل وميكائيل، ويعلن عندئذٍ أنه جاء ليحكم العالم؛ وبعدها يندفع إليه الصحابة (٣١٣) مثل العدد الذي وقف إلى جانب النبي في معركة بدر، =

= ويظهر كذلك الحسين بن علي شهيد كربلاء في الميدان مع (١٢٠٠٠) من المؤمنين، ويتردد نداء المهدي في جميع أنحاء المعمورة، فيجتمع الناس كلهم؛ فيأمر بهدم المسجد الحرام في مكة باستثناء أسسه التي شيدها إبراهيم وإسماعيل، وبعدها يأمر ببناء المسجد حسب الخطة القديمة التي أمر الله بها.

بعد أن يتولى المهدي الحكم في مكة ينتقل إلى فتح العالم، ثم ينتقل من مكة إلى المدينة لزيارة قبر جده النبي، وهناك يَدُله الناس على قبرَي الخليفتين الأوليين إلى جانب قبر الرسول، فيأمر باستخراج الجُثتين وتعليقهما في شجرة يابسة، ولكن المَيّتَين سيكونان كما لو أنهما وُضعا في القبر الآن، وتخضرُّ الشجرةُ الميتة فجأة على نحو رائع، ويعتبر المشاهدون الحدثَ بمثابة معجزة كبرى، فتهتز عقيدتهم وتتزعزع؛ لكن آخرين يتمسكون بإيمانهم بعليٍّ، ويرفضون معرفة أي شيء عن الخليفتين، وفي تلك اللحظة يأمرُ المهدي عاصفةً سوداء تقتلع كلَّ الذين آمنوا بمعجزة أبي بكر وعمر كما تقتلع الأشجار؛ فينقلبون ويموتون، وفي النهاية يؤخذ أبو بكر وعمر من الشجرة، وُيبعثان إلى الحياة -بإذن الله-، وعلى أبي بكر وعمر أن يتحملا مسؤولية ما فعلا مع علي وفاطمة، وفي تلك اللحظة تصعد النار من الأرض وتأكل الخليفتين، ولكن هذا ليس هو نهاية العقاب، وإنما سيأتي جميع الأئمة ويأخذون بثأرهم من عدويهم؛ سيبعثان إلى الحياة ألف مرة كل ليلة ويعاقبان عقاب ميتة مريعة.

ويعمل المهدي المنتظر على تحرير الحرمين من النواصب، والقدس من بعد حربه الترك (على خلاف: هل هم الروس أم الأتراك)، فيقاتل «السفياني» الذي يتحالف مع اليهود والروم، وتدور معركة كبرى بين الطرفين، تكون الغلبة فيها للمهدي، فيدخل القدس فاتحًا، وينزل الغضب الإلهي على قوات السفياني واليهود، وينطق الحجر فيشي بمن يختبئ خلفه، ثم يخرج الدجال بفتنته، ويتبعه اليهود، والنواصب، والشاذون والشاذات، لكن المهدي يكشف زيفه، ويقضي عليه وعلى أتباعه.

وبعد تنحية الخصوم يجتمع النبي وجميع الأئمة الإثني عشر في الأرض مع أعدائهم: النبي قاضيًّا، والأئمة من علي فصاعدًا مُدَّعين، والخصوم الشخصيون للأئمة مُدَّعى عليهم، ومن خلال مرافعةِ الاتهام سيكون الحديثُ عن تاريخ الخلافة كلها من بداية الإسلام إلى عهد المهدي.

ويتولى المهدي بعدئذٍ السيادة على العالم، ويختار الكوفةَ عاصمة له، وتختفي كل الديانات ما عدا الإسلام، ولن يكون هناك أي مكان لعبادة الأوثان. تنظر القصة كاملة كما أوردها الكليني في «بحار الأنوار» (ج١٣/ ص٢٠٩)، ويراجع: جواد علي «المهدي المنتظر عند الشيعة الإثني عشرية»، وعلي الكوراني العاملي «عصر الظهور»، وجابر البلوشي «خروج المهدي عام ٢٠١٥م».

(http://www. jbolushi. com/books/main. htm).

ولهذا؛ ابتدعت الأصوليون -للخروج من وَرطة تَوَقُّف «الإخبارية» عن المضي قدمًا في التهيئة لخروج المهدي- عقيدة «ولاية الفقيه» المثيرة للجدل الديني الشيعي الشيعي، ومَضَت في عمليةِ هَيمَنةٍ على المرجعيةِ العربية العالمية للشيعة، واختطافها من النجف (العلوي) إلى قُم (الصفوي)، وسَلبِ لسانِ المرجعية العربي إلى اللسان الفارسي.

والحديث عن مَرحلةِ خروج «المهدي» يُلزم بالحديثَ عن «العراق»: عاصمة خلافته، وخاصة عراق هذا الزمان، وبالأخص عَهد نظام صدام حسين، وبه تُقرأ وتُفسر فرحة الشيعة -مُنقطعةَ النظير- بإعدام «السُفياني»؛ فمقتلُه عقيدةٌ مُكمِّلة لعصر ظهور «المهدي المنتظر»، الذي تمُثل العراقُ قاعدةَ دولته ومنطلق خلافته؛ إذ يَفتتحُ حُروبَه بمقارعة «السُّفياني» رَمزِ حُكمِ أهل السنة[1]، وعلى الرغم من أن النبوءة لم تكن على هذه الصورة الحَرفية لسيناريو اللقاء السفياني المهدوي، إلا أنهم اعتبروا أن «جيش المهدي» بقيادة مُقتدى الصدر جيشًا حقيقيًّا مُمثلًا لشخص المهدي ومُهيِّئًا لظهوره القريب.

وبهذا يُفهم وَصف المرجع علي السيستاني يوم إعدام صدام حسين بأنه: «مبارك»، وأنه: «يوم عظيم في حياة شيعة أهل البيت»، كما نقله موقعه الإلكتروني، ووكالات الأنباء العالمية؛ وسبب صيحات مُنفذي عملية الإعدام المتكررة في أثناء تعليق الرئيس العراقي على حبل المشنقة صبيحة عيد الأضحى: «مُقتدى.. مُقتدى.. مُقتدى..»، وقد سارعت صحيفة «إشراق» العراقيةُ -التي تصدر من الكوفة- في الثناء على مقتدى الصدر -قائدِ ميلشيا جيش المهدي-، قائلة: «إنه قدَّم صدام حسين كأضحية أول أيام العيد للشيعة في مختلف أنحاء العالم، واستطاع أن يهزمَ وحده الدول السُّنيّة بالضربة القاضية».

وبذات النَّفَس عبَّرت بعض الصحف الإيرانية والعراقية عن هذه العقيدة؛ فيقول صفي الدين آتاور في مقال نشرته صحيفة «هَمشَري» الإيرانية بُعَيدَ أيام من إعدام الرئيس العراقي: «كان لا بد من إعدام صدام حسين في عيد الأضحى؛ ليرتدي السُّنةُ ثوب الحِدَاد الأسود، ويدخلَ الحُزنُ قلوبهَم، وليعلموا أن الظلامَ أوشكَ على دخول بيوتهم، وأن الفجرَ باتَ يلوحُ في الأفق لدُوَلٍ ذاقت الظُّلمَ لسنواتٍ طويلة».

قد يرى البعضُ في هذه القصص «خيالات» لا تستحق أن يُحكم على العجم بها، غير أن الأمر ليس كذلك؛ إذا عُلِمَ أن تلك «العقيدة» توجبُ على أتباعها الإعدادَ لظهورِه، وتمهيد الطريق لدولته؛ إذ «المهدي» لن يَخرُجَ ما لم تتهيأ الظروف.

يقول علي كوراني العاملي: «تتفق مصادر الحديث الشيعية والسُّنية حول المهدي (ع) على أنه يَظهر بعد حركةٍ تمهيدية له، وعلى أن أصحاب الرايات السود من إيران يمهدون لدولته ويوطئون له سلطانه...» [2]، ويعلق

---

(١) يُفسِّره محمد محمد صادق الصدر بـ«آخر الحُكَّام المُنحَرِفين لهذه المنطقة». «موسوعة الإمام المهدي، تاريخ ما بعد الظهور» (ج٣/١٧٤) في إشارة إلى «أبي سفيان» بداية الحكم المُنحَرف في الإسلام عند الشيعة، التي تثبت رواياتهم أنه من ولده من نسل أمية، وليس اسم السفياني مهمًّا، بل الرمزية التي تدل على خط معين، وموقف من الإسلام الشيعي. للتوسع ينظر: عبد الكريم الزبيدي «عصر السفياني».

(٢) علي كوراني العاملي «عصر الظهور» (ص١٥٩)، دار المحجة البيضاء - بيروت، ط ٧ (٢٠٠٤م).

ومن المهم التنبيه على أن السنة لا يتفقون مع الرؤية الشيعية في كينونة المهدي، لا من حيث الجذور في السلسلة المباركة (يرونه من الفخذ =

على ذلك بالقول: «مهما قال القائلون في تقييم الثورة الإيرانية سياسيًّا، فإن المتفقَ عليه أنها -من ناحيةٍ عَقِيديةٍ- حركةٌ مُمَهِّدةٌ للإمام المهدي (ع).

في إيران تشعر أن حضور المهدي المنتظر (ع) هو الحضور الأكبر من الثورة وقادتها، فهو القائد الحقيقي للثورة والدولة؛ الذي يَذكر اسمه قادة الثورة والدولة باحترام وتقديس، فيقولون: أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، وإنما البلد بلده، وغاية ما نرجوه أن نسلِّم البلد إلى صاحبه الأصلي (ع).

وفي ضمائر الناس في إيران وشعاراتهم، وأسماء أبنائهم ومؤسساتهم وشوارعهم ومحالهّم التجارية.. الإمام المهدي (ع) هو السيد الحاضر بقدسية، **وفي ضمير المقاتلين في إيران ولبنان**؛ الذي يذوبون إليه شوقًا ودموعًا، ويرونه في منامهم، ويرون ملائكته في يقظتهم، ويستشرفونه بأرواحهم...»[١].

ويقول في موطن آخر من كتاب عصر الظهور: «أما دولة المُمَهِّدين الإيرانيين فتقسم إلى مرحلتين متميزتين:

المرحلة الأولى: بداية حركتهم على يَدِ «رَجُلٍ من قُم»، ولعل حركته بداية أمرِ المهدي (ع)؛ حيث وَرَدَ أنه (سيبدأ مِن قِبَلِ المشرق).

والمرحلة الثانية: ظهور الشَّخصِيَّتين الموعُودَتَين فيهم: الخراساني، وقائد قواته، الذي تُسميهِ الأحاديثُ: شعيب بن صالح»[٢].

والكوراني لم يَجزم بأن «رَجُلَ قُم» هو الخميني -قائد الثورة-، بل لمَّح إلى ذلك[٣]، لكنه يميل إلى أن «الخراساني» هو المرشد الأعلى للثورة علي خامنئي، و«شعيب بن صالح» هو الرئيس الحالي محمود أحمدي نجاد[٤].

وبذلك؛ تكتمل الأسطورةُ المهدوية الخَلاصِية، وتُركَّبُ عليها عقيدةٌ دمويةٌ قِوامُها الدَّمُ، ومَسرحها التصفيةُ (=حرب مَذهَبية) لكل مخُالف.

وتمتلئ كتبُ القوم بأوامر لا لَبسَ فيها بقتل العرب (النواصب)، واستباحةِ بَيضَتهم، وتشتيت جمعهم قَبلَ أعداء الأمةِ التقليديين على مدار التاريخ.

إستراتيجية تصدير الثورة:

وبهذين العُنصرين يمكن فهم العقيدة الوظيفية السياسية لنظام الثورة الإيراني المعاصر، وأماكن تحركها الجيوسياسي، فهي تتحرك بدافع نبوءات تمهيد الطريق لخطوات مملكة المهدي المنتظر، **ففي أي موطن ستخطو قدماه يجب أن يكون لأهل الشرق استباق في «مناطق الظهور»؛ التي تشمل -إلى جانب إيران- الحجاز، واليمن، والعراق، وبلاد الشام، وفلسطين،**

= الحسني لا الحسيني)، ومن حيث السرمدية (يرون أنه سيولد كباقي البشر، وليس خالدًا منذ مولده)، ولا من حيث تفاصيل الوظيفة الشرعية (يتفقون مع الشيعة في كونه يخرج في زمن الفتنة العمياء وفشو الهرج والمرج، وضعف المسلمين العام وتكالب الأمم عليهم، لكن وضيفته قيادة الأمة الإسلامية لقتال الأعداء التقليديين من يهود ونصارى، ويواجه مع ابن مريم المسيح العدوين القَدَريين (الدجال ويأجوج مأجوج) وليس تصفية حسابات مسألة الإمامة بطريقة غنوصية خرافية!!

(١) «عصر الظهور» (٧-٨).

(٢) «عصر الظهور» (١٦١).

(٣) يقول في صفحة (١٦٥): «لا يوجد في الروايات تحديد لزمان هذا الحدث، لكن مجموع صفاتها، مضافًا إليها ما ورد في الروايات الأخرى عن قم وإيران، ترجح احتمال أن يكون المقصود بها الإمام الخميني وأصحابه».

(٤) يرى آخرون أنه قائد الحرس الثوري الجنرال محمد علي جعفري؛ بحكم أنه قائد القوات الفعلي لحرس المُمَهِّدين، ونص عبارة الكوراني: «يبدو من أحاديثه (=الإمام الباقر) أنه القائد الأعلى لدولة أهل المشرق، ولكن يبقى احتمال أن يكون قائدًا سياسيًّا بإمرة المرجع والقائد الأعلى أمرًا واردًا...». «عصر الظهور» (١٨٥).

ومصر، والمغرب؛ لتعبيد السبيل، وتحريك مؤشرات القَـدَر الآذنـة بخُروجـه مـن مخبئـه، وبـدء «عصر الظهـور»، وتحريـر تنبـؤات المعصـومين مـن إسـار «الكلمة» إلى فضاء «الفعل» الذي طال انتظاره.

فإيران - في النظرة الغنوصية[1] الشيعية - تقع في شرق الجزيرة؛ هي موطن أصحاب «الرايات السود»، وقد خرج فيها «رجل من قُم؛ يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم قلوبهم كزُبَر الحديد، لا تُزِلهُم الرياحُ العواصف، ولا يَمَلُّون من الحرب، ولا يجبنون»[2].

أما بلاد الشام؛ ففيها يكون «عثمان السفياني» آخر مظاهر الحكم السُّني الأموي، الموالي للروم، والمتحالف مع اليهود، الذي يوحّد الأردن، ولبنان، وسوريا، ويشكل خط دفاع «عربي» عن دولة اليهود، وقاعدة مواجهة للإيرانيين الممهدين، ولأجل إحكام السيطرة يقوم السفياني باحتلال العراق؛ التي سيخرج منها «عصائب أهل العراق» أبدال أهل الشام، ويقاتلون إلى جنب المهدي، إلى جانب رجال الصدق من المغاربة.

أما الحجاز (مكة والمدينة)؛ فهي موطن خروج المهدي، وبداية منطلق دعوته.

واليمن؛ هي عضيد الدولة الإيرانية الممهدة.

كما أن مصر ستكون مركز البث الإعلامي والفكري لدولة المهدي، ومنبر الدعوة لسلطانه، والمصريون هم وزراء المهدي النجباء[3].

فخروج المهدي، أو لِنَقُل: إرغامه على الخروج قَدَرًا، هو العقيدة الوظيفية الأبرز التي يمكن أن تُسلك الخِطَطُ التي وضعها النظام الإيراني الصفوي لتصدير الثورة إلى دول الجوار، على اعتبار أنها آليات عمل مُمهدة لمقدم المعصوم، وقد رشحت خطتان:

أولاهما -من حيث الأهمية والشمول-: كانت الخطة الخمسينية المتعلقة بتصدير المذهب.

والثانية: العشرينية المتعلقة بترسيخ الدولة.

وكلاهما تعتمد سياسة التدرُّج، وعلى الرغم من تأخرها؛ إلا أن بعض دول المنطقة قد تنبهت فعليًّا -عن طريق مخابراتها، وتبادل المعلومات فيما بينها- إلى حقيقة وجود مثل هذا المخطط، فمهما حاولت القيادات الإيرانية التمويهَ والإنكار العلني، إلا أن نتائجها واضحةٌ للعيان، ولعل الوضع العراقي قد خدم المصالح الإيرانية منذ أحداث ربيع عام (٢٠٠٣) التي هَزَّت المنطقة، فجاء بالجنوب العراقي على طبق من فضة للنظام الإيراني، ثم تبعته عربدة إسرائيلية في لبنان صيف (٢٠٠٦م)[4]، وهذا بدوره سحب البساط من تحت أنظمة الجوار، بل أسرع في وتيرةِ نجاحات المخططات الإيرانية في التبشير الشيعي الصفوي، **فما كان مُخططًا له بالأمس أن يكون**

---

(١) الغنوصية: نزعة ترمي إلى مزج الفلسفة بالدين، وترى أن الخلاص يتم بالمعرفة أكثر من الإيمان والعمل. أحمد زكي بدوي «معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية».

(٢) «عصر الظهور» (١٨)، وقد اعتمد الباحث الرؤية الشمولية التي يطرحها الكوراني العاملي لما قبل ظهور المهدي، وتفصيل حال منطقة الظهور بحسب تلك النبوءات الشيعية، التي يتضح فيها الخلط وعدم مطابقة الواقع، وخاصة إذا عُلم أنهم يؤرخون مدة ست سنين بعد ظهور الشخصيتين الموعودتين للتمهيد لمقدم المهدي، وهما: الخراساني، وشعيب صالح، هم الآن في انتظار انقضاء مدة الرئيس محمود أحمدي نجاد، التي يعتقد الكثيرون أنها ستمدد، إلى حين خروج المهدي، لأنه - في الأغلب- شعيب صالح، ويعتقد الباحث أنه بموت المرجع الأعلى علي خامنئي، الذي يعتقدون أنه الخراساني الموعود، سيضطرب شأن الإيرانيين، وسيعيدون تشكيل النبوءات لصالح استمرار أثر العقيدة الوظيفية السياسية الفارسية في الهيمنة على عقول الشيعة في المنطقة.

(٣) «عصر الظهور» (٧٠).

(٤) أحدثت تلك التقلبات نقلة نوعية لسلاح حزب الله وموقعه السياسي في المشهد اللبناني بأسره، دون تدخل سوري أو عربي، وهو ما أثار إعجابَ العالم.

في خمسين سنة، أمكن تقليصه لعشرين سنة، ومن ثم إلى أقل من ذلك؛ بسبب الفراغ الأمني الذي أحدثته عربدة الإدارة الأمريكية، وإذا حصل اتفاق بين الأمريكان والإيرانيين بقبول العَرض الإيراني السِّري -على ما سيذكر لاحقًا- فإن عملية تصدير الثورة وتشييع المنطقة ستشهد ثورةً في ذاتها، ستسرّع إيقاعها بأكثر من توقعات الإيرانيين أنفسهم، وسيُسقط في أيدي قيادات دول الجوار حتمًا، وربما -إن حصل اتفاق على تقاسم النفوذ في المنطقة بين الطرفين- ستشهد شعوب المنطقة ثورات وحروبًا أهلية مبنية على أسس مَذهبية طائفية، وما المشهد العراقي إلا صورة مُصغرة عنه.

بعد نجاح الانقلاب الخميني على شاه إيران، وَعَدَ آية الله بنشر هذه الثورة في أماكن أخرى من دول الجوار (العراق، ودول الخليج، لبنان... إلخ) وكان يطلق على هذه الطريقة مصطلح: «تصدير الثورة»، حيث أعلن في بيان الذكرى السنوية الأولى لانتصار الثورة في (١١/٢/١٩٨٠): «إننا نعمل على تصدير ثورتنا إلى مختلف أنحاء العالم»[١]، وهذه الثورية هي مسألة إستراتيجية مبدئية؛ إذ يؤكد مرشد الثورة علي خامنئي، في مقابلة صحافية حينما سئل عن البرنامج الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لقيادته -بعد وفاة الخميني-؟ فقال: «أول أهداف حزبنا هو: بث التوعية الإسلامية السياسية، والتربية الثورية بين صفوف الشعب الإيراني»[٢].

ولتحقيق هذه الغاية الإستراتيجية أُنشئت التنظيمات الداخلية والخارجية الخاصة بتصدير الثورة؛ بروح العمل الثوري الانقلابي، فقامت بالعديد من العمليات في لبنان، والكويت، والسعودية، والبحرين، وأقامت العلاقات مع أغلب الحركات الإسلامية التي في حالة صراع مع الأنظمة السُّنية القائمة[٣].

لقد مرت الثورة الخمينية بأربع مراحل على الشكل التالي:

كانت مرحلة الخميني؛ التي تركز على الإسلام الشيعي، وتأمين الثوار.

ثم جاءت مرحلة رفسنجاني؛ التي تركزت على تأسيس السياسة الإيرانية؛ كدولة على خريطة العالم.

ثم جاءت مرحلة خاتمي؛ لتكون مرحلة الناس لبناء المجتمع المدني.

وتأتي -الآن- مرحلة نجاد؛ التي تمثل مرحلة التمكين العسكري للدولة الإيرانية[٤].

لقد وظّفت إيران كل طاقاتها الإستراتيجية، والتكتيكية، واللوجستية؛ لخدمة أهدافها العقائدية والسياسية العُليا، فرصَّت صفوف عقولها؛ لتركز على وضع الآليات الكفيلة بتصدير ثورتها إلى الدول المجاورة، ولتغلغل نفوذها في نسيج العالم العربي، ومن ثم اعتمدت خِطط عمل[٥]، وعُقدت المؤتمرات؛ التي تكفل استمرارها على النهج، ومراجعتها لما حققته من نجاحات، وتفادي الإخفاقات.

---

(١) «تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني» (٣٩).

(٢) «مجلة الوطن العربي» عدد (١٠٩).

(٣) تنظر: «مجلات الوطن العربي» فترة بدايات الثمانينيات لرصد هذه الأعمال، وكتاب محمد حسنين هيكل «مدافع آية الله، قصة إيران والثورة».

(٤) ينظر كتاب محمد صادق الحسيني «الخاتمية»، فقد أرخ وحلل الفترات الثلاث الأولى: (الخميني، ورفسنجاني، وخاتمي)، وأضاف الباحث الرابعة.

(٥) يحلو للبعض تسميتها: «مؤامرات»، التسمية المُختارة أدق من حيث المعنى والمبنى.

وهذا سر تفوُّق النموذج الإيراني الثوري؛ الذي استفادَ من فكر الإخوان فيما يُعرف بـ (نظرية الإسلام الحركي)؛ لـ «ثقفنة» الثورة وأسلمتها، ومن ثم استفادت من التجربة الصهيونية في تمكين دولتها، واللعب مع الكبار بقواعدهم وإستراتيجياتهم.

إن أهم وثيقة وصلت إلى يد الرأي العام هي: وثيقة «الخطة الخمسينية» الصفوية.

وأهم مؤتمر لشيعة ولاية الفقيه هو: مؤتمر «شيعة عليٍّ هم الغالبون».

وهما حريان بمزيد من النظر والفحص.

نشرت رابطة أهل السنة في إيران (مكتب لندن) رسالة سرية للغاية، موجهة من شورى الثورة الثقافية الإيرانية إلى المحافظين في الولايات الإيرانية، تحتوي هذه الرسالة على خطة عمل مفصلة في نشر الثورة وتصديرها، ولكن بأسلوب جديد؛ دون حرب، أو إراقة دماء!

والمتابع للحركة الإيرانية في العالم والنشاط الشيعي، يرى أن هذه الخطة موضع تطبيق واضح، بل تحقق نجاحات واسعة، وهي حرية بشيء من البيان(1).

وتطبيقًا لهذه السياسة المتجددة للروح الثورية بقيادة الرئيس محمد خاتمي؛ أصدرت مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني في طهران كتابًا عام (١٩٩٧) بعنوان: «تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني»، أكدت فيه أن تصدير الثورة هو منهج ثابت للخميني، لكن «مبدأ تصدير الثورة لا يَعني الهجومَ العسكري وتحشيدَ الجيوش ضد البلدان الأخرى مطلقًا».

❁ **وكانت فصول الكتاب على النحو الآتي:**

الفصل الأول: تصدير الثورة: سمة ملازمة للثورة الإسلامية.

الفصل الثاني: فكر صادق، وعزم راسخ على طريق تصدير الثورة.

الفصل الثالث: الثورة الإسلامية: مثال القيم المنشودة.

الفصل الرابع: ماذا نعني بتصدير الثورة؟

الفصل الخامس: تصدير الثورة: الدوافع، والسبل، والأهداف.

الفصل السادس: أصدقاء الثورة الإسلامية وأنصارها.

الفصل السابع: تصدير الثورة: يزرع الرعب في نفوس الأعداء.

الفصل الثامن: تصدير الثورة الإسلامية: حقيقة واقعة.

ويُصرِّح الكتاب أن تصدير الثورة هو: «تصدير المعنويات التي وجدت في إيران،...، فنحن لا نريد أن نشهر سيفًا أو بندقيةً، ونحمل على الآخرين،...، نتطلع إلى تصدير ثورتنا الثقافية،...، نتطلع إلى إيجاد مصالحةٍ بين الشعوب وحكوماتها،...، نتطلع إلى تصدير الثورة عن طريق الإعلام والتبليغ،...، هدفنا: أن نُعَرِّفَ الإسلام على حقيقته في حدود قدراتنا الإعلامية، وعن طريق ما بحوزتنا من وسائل الإعلام المسموعة، والمرئية،

---

(1) لقد نشر عدد من الصحف مناقشات وتجاذبات فكرية حول هذه الخطة، كان أشهرها في البحرين للكاتبة القومية الشيعية سميرة رجب، عبر صفحات جريدة «أخبار الخليج»، وكتب بحريني آخر هو د. هادف الشمري دراسة حول هذه الخطة «وانعكاساتها على واقع مملكة البحرين»، سبقه د. ناصر القفاري في دراسة هذه الخطة وتطبيقاتها على العربية السعودية في كتاب «بروتوكولات آيات قم»، وتناولها في عدد من كتبه العراقي د. طه الدليمي، ومن الأردن كتب أسامة شحادة بحثًا حول الخطة بعنوان: «الخطة السرية: دراسة في الأسلوب الجديد لتصدير الثورة الإيرانية»، وكتب عنها - أيضًا - الفلسطيني على حسين باكير تحت عنوان: «كيف نواجه المشروع الإيراني».

والمقروءة، وكذلك من خلال الوفود التي تبعث إلى الخارج...»[١].

أما الأدوات؛ فيرى الكتاب أنها: «تطبيق الإسلام في إيران...، العاملين في السفارات...، مجلات الطلبة في الخارج...، الاتحادات الإسلامية في الخارج...، الزيارات الشعبية...، الحجاج الإيرانيين...»[٢].

والكتاب الجديد في أسلوبه يُحارِب فكرة العمل الثوري «الانقلابي»، مُقتفيًا سياسة خاتمي في «الانفتاح الثقافي»، و«حوار الحضارات»؛ إلا أنه يقفز فوق تفجيرات مكة المكرمة، أو حوادث اختطاف الطائرات، أو التفجيرات في دول الخليج -وخاصة في الكويت، والبحرين، والسعودية-، بل يقفز فوق حزب الله في لبنان وفروعه في الدول الأخرى؛ كنتائج لذلك التصدير الثوري[٣].

ويمكن اعتبار كتاب «تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني» مقدمة للخطة الخمسينية؛ التي ترمي إلى تغلغل «الخمينية» في نسيج الحكومات والمجتمعات السُّنية المُتَمَنِّعَة، وواضح أنه قام على إعدادها مجموعةٌ من الخبراء المحترفين؛ إذ يظهر عليها الصبغة الاجتماعية، والسياسية، والتاريخية، والاقتصادية.

وتعتمد على أركان أساسية جوهرها: تحسين العلاقات مع الآخرين (تحت غطاء تقريب المذاهب)، وتهجير عدد من العملاء إليه (ترانسفير وظيفي).

كما عرضت الخطةُ تحليلًا لعناصر القوة في دول الجوار (قوة السلطة، والعلم، والمعرفة، والاقتصاد)، وقدَّمت تشريحًا لدول الجوار، وعناصر التشكيل السكاني فيها.

وتُركز مجالات تطبيق الخطة بداية على المدن والمناطق السُّنية في إيران، ومن ثم تمتدُّ لتشمل الدول الأخرى؛ ذات النشاط الشيعي السهل (تركيا، والعراق، وأفغانستان، وباكستان، والبحرين)، فالدول الأخرى التي نشاط الشيعة فيها صعب (دول الخليج -باستثناء البحرين-، والأردن، ومصر).

وتُقسَّم الخطة إلى خمس مراحل، مدة كل واحدة عشر سنوات، هذا على افتراض عدم تسريع عجلة التنفيذ بتكتيكات مختلفة على غرار ما حصل في العراق ولبنان مؤخرًا.

المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس ورعاية الجذور:

١ - إيجاد السكن والعمل لأبناء المذهب المهاجرين في هذه الدول.

٢ - إنشاء العلاقة والصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال والمسؤولين الإداريين في الدولة.

٣- محاولة خلخلة التركيبة السكانية، عن طريق تشتيت مراكز السنة، وإيجاد تجمعات شيعية في الأماكن المهمة.

المرحلة الثانية: مرحلة البداية:

وهي العمل من خلال القانون القائم، وعدم محاولة تجاوزه، ومحاولة الحصول على إذن للأنشطة، وتعتبر فيما بعد وثائق رسمية ومحاولة التسرب إلى الأجهزة الأمنية والحكومية، والسعي للحصول على الجنسية للمهاجرين الشيعة، وهذا يكون في النصف الأول، أما في

---

(١) «تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني» (٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٩).

(٢) المرجع السابق (٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٢، ١٠٠).

(٣) إن حقيقة الخلاف بين الإصلاحيين (جناح الرئيس خاتمي)، والمحافظين (جناح الرئيس نجاد) تكمن في التكتيك لا الإستراتيجية.

وللتقريب: يمكن قياسهما على عمل الحزبين الأمريكيين الجمهوري والديمقراطي، أو الحزبين الإسرائيليين العمل والليكود، فالإستراتيجية واحدة، لكن التكتيكات تختلف، وهذا يساعد على فهم التصريحات المضادة المتبادلة، والمظاهرات الطلابية المؤيدة لخاتمي، والمعارضة لنجاد، فالإصلاحيون يرون أن سياسة المحافظين ثورية تكشف أكثر مما تستر، ويرى المحافظون أن سياسة الإصلاحيين تُهادن أكثر من المطلوب.

النصف الثاني: فيركز على الوقيعة بين علماء السنة (=الوهابيين) والدولة؛ من خلال تحريض العلماء على المفاسد القائمة، وتوزيع المنشورات باسمهم، ووقوع أعمال مريبة، وإثارة الاضطرابات بسبب ذلك، ثم تحريض الدولة عليهم؛ بهدف إثارة أهل السنة على الحكومات؛ حتى تقمع تلك الحكومات أهل السنة، فيتحقق لهم:

١ - سوء ظن الحكام بكل المتدينين من أهل السنة وكل أنشطتهم.

٢ - نمو الحقد والعداء بين الطرفين.

٣ - ضياع مكانة أهل السنة وسلطتهم المادية والمعنوية.

٤ - إحجام الحكام عن المساعدة في نشر الدين.

المرحلة الثالثة: **مرحلة الانطلاق**:

وعندها تكون قد ترسخت العلاقة بين الحكام وهؤلاء العملاء (الصفويين)، وزاد التغلغل في الأجهزة الحكومية والعسكرية؛ مع عدم التدخل في الأنشطة الدينية، يرافق ذلك إبراز أن الشيعة مذهب لا خطر منه عليهم (=الحكام) ؛ ليزداد التغلغل في أجهزة الدولة.

ويأمل المخططون أن تكون القدرات الاقتصادية والبنية التحتية في إيران قوية في ذلك الوقت، ليضربوا اقتصاد هذه الدول السنية، فتتحول رؤوس الأموال السنية إلى إيران؛ مع إعطائهم الحرية في العمل الاقتصادي في إيران من أجل المعاملة بالمثل، فتزداد السيطرة على اقتصادياتهم، لأننا (=الشيعة) نخطط لذلك، وهم إنما يتحركون بشكل فردي، ومن أجل الربح فقط[١].

المرحلة الرابعة: **مرحلة بداية قطف الثمار**:

ستشهد هذه الدول فرقة بين الحكام والعلماء، والاقتصاد على وشك أن ينهار، والشعب ليس له ولاء لبلده؛ بسبب الأحوال السياسية والاقتصادية، وسيكون عملاؤنا جاهزين لاستغلال الفرصة للوصول إلى المناصب الحساسة، ويتقربون إلى الحكام أكثر، وسوف نحارب المخلصين من أهل السنة عن طريق الوشاية بهم.

وثمار ذلك كله:

1 سيطرة عناصرنا على مقاليد الأمور.

1 زيادة سخط أهل السنة على الحكام؛ بسبب نفوذنا.

وعلى عملائنا الوقوف -دائمًا- مع الحكام، وحث الناس على الهدوء وعدم الفوضى، وعليهم زيادة نفوذهم، وشراء الأراضي والعقارات.

المرحلة الخامسة: **مرحلة النضج**:

تكون الدول قد فقدت مقومات القوة (الأمن، الاقتصاد، الهدوء)، والسلطة تواجه اضطرابات شديدة، عندها سنقدم أنفسنا كمُخَلِّصين، من خلال اقتراح تشكيل مجلس شعبي لتهدئة الأوضاع، ومساعدة الحكام على ضبط البلد، وسيكون عملاؤنا هم أغلب أعضاء المجلس، ولذلك تزداد النفرة بين العلماء والحكام، وبذلك تتحقق السيطرة على هذه البلدان، ونتمكن من تصدير الثورة؛ دون إراقة دماء أو حرب، فإذا لم يتحقق هذا من خلال عمل هادئ؛ فلا مانع عند ذلك من إثارة ثورة شعبية، ونسرق السلطة من الحكام.

الحلف الفارسي المُمَهِّد:

يصُب في سياق الخطة، وربما ناتج عنها مؤتمر «شيعة عليٍّ هم الغالبون»[٢]، الذي التأم منتصف

(١) وقد صدقوا؛ فهذه حقيقة لا تنكر.

(٢) وهي تسمية -يتضح الاقتباس فيها من قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ﴾ -، مفادها أنه من كان مع عليٍّ أمير المؤمنين (=الشيعي الأول)، فإن الغلبة والنصرة في جانبه لا محالة، وبمفهوم المخالفة فإن الخذلان والهزيمة على خصومه؛ إلا أن المفارقة أن هذا التوظيف للآية ومعناها الشامل في المؤتمر لم يكن القصدُ منه الذين كفروا =

(٢٠٠٦)؛ يمكن اعتباره خطوة متقدمة لصناعة حلف متخصص؛ يلمُّ شعث الجهود المتناثرة للتمهيد لمقدم الإمام المهدي المنتظر.

فقد جمعت إيران في هذا المؤتمر أغلب رجالات الشريعة، والملالي، والمفكرين، والسياسيين، وأرباب المال، إضافة إلى العسكريين؛ من مُعتقدي «ولاية الفقيه»، للتشاور في المرحلة القادمة، بعد أن سقط النظام العراقي، وغرقت القوات الأمريكية في وحل أفغانستان والعراق معًا، وبدأت الدبلوماسية الأمريكية تترنح تحت الضغوط الداخلية والخارجية، وبعد أن بدأت الميليشيات تفعل ما يُطلب منها تمامًا، ونجحت خطط الترهيب والتمزيق العرقي المذهبي في العراق، وأصبحت الخلايا النائمة في الخليج جاهزة، وأخذت فرائص حكومات الخليج المنكشفة إستراتيجيًّا ترتعد من المخطط لإيراني وتحسب له حسابًا مغايرًا.

كما أن المؤتمر جاء بعد تسليم إيران للأمريكان مشروعَ تسوية يثير الفضول -سنأتي على ذكره لاحقًا-.

لقد تسربت وثيقة المؤتمر أيضًا -مطلع العام (٢٠٠٧)- إلى الرأي العام عن طريق بوابة الفوضى العراقية؛ وتأتي في أولويات بروتوكولات المؤتمر: تأسيس منظمة عالمية تسمى: «منظمة المؤتمر الشيعي العالمي»، كمنظمة بديلة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، يكون مَقرُّها «قُم» بدلًا من «مكة»، وفروعها في كافة أنحاء العالم.

= بالله ورسوله، وحاربوا دينه؛ من يهود، أو نصارى، أو مجوس، لا، بل المقصود به: عموم المسلمين؛ من أتباع السفياني (=النواصب)، الذين «كفروا» بولاية عليٍّ وآل بيته المعصومين؛ ومؤتمر كهذا لا يُقاوِمُ أيُّ مراقب فكرةَ تشبيهه بمؤتمر بازل الذي دعا إليه صموئيل هرتزل، داعيًا إلى تفعيل الخطة الصهيونية العالمية فيما يتعلق بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين عام (١٨٩٧م).

كما تدعو الوثيقة إلى اقتباس تجربة الشيعة في العراق «الناجحة»، لتعميمها في الدول الإسلامية الأخرى، وفي مقدمتها: السعودية، والأردن، واليمن، ومصر، والكويت، والإمارات، والبحرين، والهند، وباكستان، وأفغانستان.

❁ **وتقترح الوثيقة التركيز على:**

- استغلال كافة الإمكانيات والطاقات النَّسَويَّة في كافة الجوانب، وتوجيهها لخدمة الأهداف الإستراتيجية للمنظمة.
- والتأكيد على احتلال الوظائف التربوية والتعليمية.
- التنسيق «الجدّي والعملي» مع القوميات والأديان الأخرى؛ لاستغلالها في دعم الشيعة بالعالم.

❁ **ولضمان تحقيق الأهداف المرجوة من الخطة، يجب:**

- تصفية الرموز والشخصيات الدينية البارزة من السنّة.
- دَسُّ العناصر الأمنية في صفوفهم؛ للاطلاع على خططهم ونواياهم.
- فرض مقاطعةٍ على بضائع دُوَل السُّنّة في مقابل تشجيع الصادرات الإيرانية.

❁ **وفيما يلي نص الوثيقة:**

«المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق»

الرئاسة إلى قيادات المكاتب والفروع

بيان سري وعاجل

«بتوجيه ورعاية سماحة آية الله العظمى السيد علي خامنئي (المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران) -دام ظله-، وتحت شعارات: «شيعة عليّ هم الغالبون»، تم عقد المؤتمر التأسيسي المُوَسَّع لشيعة العالم في مدينة «قُم» المقدسة، حضره كافة قيادات الأحزاب الشيعية، والمراجع، ورؤساء الحوزات الدينية، والأساتذة،

والمفكرين، والباحثين.

وتم مناقشة عدة جوانب مهمة، وخرج بالتوصيات التالية:

١ - ضرورة تأسيس منظمة عالمية تسمى: «منظمة المؤتمر الشيعي العالمي»، ويكون مقرها في إيران، وفروعها في كافة أنحاء العالم، ويتم تحديد هيئات المنظمة وواجباتها، ويتم عقد مؤتمر خاص خلال كل شهر.

٢ - دراسة وتحليل الوضع الراهن على الساحة الإقليمية، والاستفادة من تجربتنا الناجحة في العراق، وتعميمها على بقية الدول، وأهمها: السعودية (قلعة الوهابية الكفرة)، والأردن (عميل اليهود)، واليمن، ومصر، والكويت، والإمارات، والبحرين، والهند، وباكستان، وأفغانستان.

والتأكيد على الخطة الخمسينية والعشرينية، والبدء بتطبيقها فورًا.

٣ - بناء قوات عسكرية غير نظامية؛ لكافة الأحزاب والمنظمات الشيعية بالعالم، عن طريق زجّ أفرادها في المؤسسات العسكرية، والأجهزة الأمنية، والدوائر الحساسة، وتخصيص ميزانية خاصة لتجهيزها، وتسليحها، وتهيئتها لدعم وإسناد إخواننا في السعودية، واليمن، والأردن.

٤ - استثمار كافة الإمكانيات والطاقات في كافة الجوانب، وتوجيهها لخدمة الأهداف الإستراتيجية للمنظمة، والتأكيد على احتلال الوظائف التربوية والتعليمية.

٥ - التنسيق الجدِّي والعملي مع كافة القوميات والأديان الأخرى، واستغلالها بشكل تام لدعم المواقف والقضايا المصيرية لأبناء الشيعة بالعالم، والابتعاد عن التعصّب الذي يَصُبُّ لمصلحة أبناء العامة (السُّنَّة).

٦ - تصفية الرموز والشخصيات الدينية البارزة لأبناء العامة، ودس العناصر الأمنية في صفوفهم؛ للاطلاع على خططهم ونواياهم.

٧ - على كافة المرجعيات والحوزات الدينية في العالم تقديم تقارير شهرية، وخطة عمل سنوية لرئاسة المؤتمر، تتضمن كافة المعوقات والإنجازات في بلدانهم، والمقترحات اللازمة لتحسين وتطوير أدائها.

٨ - إنشاء صندوق مالي عالمي مرتبط برئاسة المؤتمر، وتُفتح له فروع في كافة أنحاء العالم.

وتكون الموارد -أحيانًا- جمع الأموال من الحكومات العُرفية -وخاصة العراق-، وتبرعات التجار الأثرياء، وزكاة الخمس، وكذلك التنسيق مع الجمعيات والمنظمات الخيرية والإنسانية لاستلام المساعدات والمعونات المادية لدعم متطلبات المؤتمر الإدارية، والإعلامية، والعسكرية.

٩ - تشكيل لجنة متابعة مركزية لتنسيق الجهود في كافة الدول، وتقويم أعمالها.

١٠ - متابعة الدول والسلطات والأحزاب، وشنّ حرب شاملة ضدها في كافة المجالات، وأهمها: «المجال الاقتصادي»؛ من خلال تشجيع الصادرات الإيرانية، ومقاطعة البضائع السعودية، والأردنية، والسورية، والصينية.

توقيع:

المكتب السياسي لـ «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق». بغداد».

❁ الحلقة القادمة:

«البُعد الإستراتيجي التاريخي».

(١) تلاعب إيران بالقضية الفلسطينية
أسامة شحادة[١]

من المتفق عليه أن القضية الفلسطينية رافعة لكل من أراد أن يشتهر ويروج بين الناس؛ من دولة، أو حزب، أو جماعة، أو شخص، فيكفي بعض الشعارات الرنانة، أو الحركات الاستعراضية التي تدغدغ العواطف! وبعدها تأخذ الشرعية والمصداقية من الجماهير الجاهلة والمندفعة، وعلى أساس هذه القاعدة تعاملت إيران الخميني مع القضية الفلسطينية.

البداية:

تعود علاقة إيران الخميني بالقضية الفلسطينية حين كانت مضطهدة ومطاردة في منتصف السبعينيات، فهربت إلى العراق، ولبنان؛ حاضنة كل الأحزاب والتنظيمات، وهناك تبنت منظمة التحرير الفلسطينية كوادر الخميني، فدربتهم على العمل السياسي والعسكري، وسلحتهم، ودعمتهم من أموال الثورة الفلسطينية، لأنهم أعداء الشاه -حليف إسرائيل- القوي في معسكراتها بالعراق ولبنان.

كما أن المنظمة عملت على فتح الأبواب أمامهم لدى الدول العربية وحصلت لهم على مساعدات مالية منها، وذلك بعد أن سبق للمنظمة أن احتضنت موسى الصدر، وقدمت له الدعم، والرعاية، والسلاح، والتدريب، حتى قيل: إن أبو عمار هو من اختار اسم «حركة أمل» لها، وبذلك كان الفلسطينيين متفضلين على شيعة لبنان وثورة الخميني، ولم يكن البعد الطائفي موجودًا في حساباتهم في لبنان.

كما أن رفسنجاني -بمساعدة من موسى الصدر- قام بمقابلة عرفات في بيروت قبل قيام الثورة الإيرانية بغية الإستفادة منها؛ حيث كان رفسنجاني ورفاقه معجبون بنموذج الثورة الفلسطينية[٢].

بعد نجاح الثورة:

وحين نجحت ثورة الخميني كان عرفات أول من استقبل في طهران مهنئًا بالانتصار، وفي خطاب لعرفات بطهران تفاخر بأنه درب عشرة آلاف عنصر إيراني في معسكرات فتح، وأنه أعطاهم عشرة آلاف كلاشنكوف، ومن ثم قدم عرفات مزيد من السلاح للخميني، ودرب الحرس الثوري، وقامت إيران بإعطاء منظمة التحرير الفلسطينية مقر السفارة الإسرائيلية في طهران لتكون سفارة لهم، وعين هاني الحسن سفيرًا للمنظمة في طهران، وجلال الدين الفارسي سفيرًا لإيران لدي المنظمة، ومن ثم تولى مصطفي جمران السفارة.

كما تم فتح مركز ثقافي للمنظمة في أصفهان، وتعيين مندوب عنها في كل مدن إيران، وطلبت إيران من المنظمة وعرفات الحصول على تأييد حرب الأهواز للثورة، فذهب عرفات وأحمد الخميني لافتتاح مكتب المنظمة بالأهواز لهذه الغاية.

وسرعان ما ظهرت محاولات ثورة الخميني في محاولة أجنحة الثورة لتوظيف المنظمة في أغراضها الخاصة، فبعد أشهر تم الطلب من المنظمة إقفال مكتب الأهواز، واستمرت المضايقات ليغادر هاني الحسن منصبه هناك، ولم يتحسن الوضع مع السفير الجديد، وحين حاول وفد رفيع من المنظمة التوسط في قضية الرهائن الأمريكان؛ رفض الخميني مقابلتهم، رغم أن قطب زادة -وزير الخارجية الإيراني- أرسل برقية رسمية بالموافقة على الوساطة الفلسطينية، وخاصة مع تصاعد سياسات تصدير الثورة، ومحاولة الزج بالمنظمة في ذلك،

---

(١) باحث وكاتب أردني.

(٢) «حياتي» رفسنجاني (ص١٧١).

وبعدها جاءت الحرب مع العراق التي وقفت فيها المنظمة على الحياد، فاعتبرت إيران ذلك موقف عدائي تجاهها، وبذلك انتهت العلاقة الودية، ودخلت مرحلة الجمود[1].

في لبنان:

وعلى الجانب اللبناني لم يكن الحال بأفضل من ذلك، فرغم أن المنظمة هي من أنشأت منظمة أمل، ودربتها، وسلحتها؛ إلا أن الغدر والخيانة كان جزائها منها، فحين غزت إسرائيل لبنان سنة (١٩٨٢) لم تشارك «أمل» بالقتال ضد اليهود سوى بالبيانات، بل بعضهم قام بالترحيب بالجيش الإسرائيلي، [2] وقد فضح ذلك شارون في مذكراته حين قال: «أرَ يومًا في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى البعيد»، بل اقترح إهدائهم بعض الأسلحة؛ كبادرة حسن نية!!

وبسبب اختفاء مؤسس «أمل» موسى الصدر، وتزايد النفوذ الإيراني في لبنان، وحركة الانشقاق في صفوف «أمل»؛ أعلنت «حركة أمل» سنة (١٩٨٢) مبايعتها للخميني إمامًا للمسلمين في كل مكان[3].

وبعد أن غادر الفدائيون الفلسطينيون بيروت عقب الغزو الإسرائيلي؛ بدأت «أمل»، ونواة «حزب الله» تسعى للتمدد على حساب السنة اللبنانيين والفلسطينيين، ولم يأت عام (١٩٨٥) إلا وقد أعدت «أمل» العدة لمجزرة للفلسطينيين في المخيمات الفلسطينية ببيروت، استمرت شهرًا كاملًا؛ كما حدث مع غزة مؤخرًا، كانت من الفظاعة والإجرام بمكان كبير، شملت القتل، والذبح، والاغتصاب، وغيرها[4].

وقد صادف وقوع هذه المجازر وجود الأستاذ فهمي هويدي في طهران، فكتب لنا عما عايشه: «في (يونيو ٨٥) ، وقتال «أمل» للفلسطينيين في بيروت كان قد بلغ ذروته، وبينما تكلم مختلف رموز النظام -منتظرى، ورفسنجانى، وخامنئي-، فإن الإمام التزم الصمت! وقيل -وقتئذٍ-: إنه معتكف في الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان، ولما أنتهى الصيام خرج الإمام من اعتكافه، وألقى خطابًا في «حسينية جمران» بعد صلاة العيد.

وفيما توقع الكثيرون أن يعلن موقفًا تجاه ما يجرى في لبنان، فإن الإمام لم يشر إلى الموضوع من قريب أو بعيد! وكان جل تركيزه في الخطاب على دلالة المظاهرات المؤيدة للحرب مع العراق؛ التي خرجت يوم القدس (آخر جمعة من رمضان).

كنت أحد الذين استمعوا إلى خطبة الإمام في صبيحة ذلك اليوم (٢٠ يونيو)، ولم أستطع أن أخفي دهشتي من تجاهله لما يجرى في لبنان، ليس فقط لأن الفلسطينيين هم ضحيته، ولكن لأن الجاني منسوب إلى الشيعة، ونقلت انطباعاتي إلى صديق خبير بالسياسة الإيرانية، فكان رده: أن الإمام له حساباته وتوازناته!!»[5].

أما تصريحات رموز النظام؛ فقال عنها هويدي:

«كان خامنئي يعبر بصدق عن موقف الحكومة والأجهزة الرسمية؛ التي لزمت الصمت طوال خمسة أيام بعد بدء الإعتداء على المخيمات الفلسطينية، ثم بدأت تتحدث عن «وقف القتال»، «وتجنب استمرار نزيف الدم»، وهو موقف بدا خاضعًا «للحسابات» أكثر منه ملتزمًا بالمبادئ،

(١) «الحرب المشتركة إيران وإسرائيل» حسين علي هاشمي (ص٤٩).
(٢) أثبت ذلك د. مسعود أسد اللهي الباحث الإيراني، في رسالته للدكتوراة من جامعة الإمام الصادق بطهران، والحائزة على جائزة وزارة الإعلام الإيرانية لأحسن أطروحة دكتوراة سنة (٢٠٠٠)، والتي نشرت بالعربية بعنوان: «الإسلاميون في مجتمع تعددي» (ص١٠٩، ١٣١، ١٣٨).
(٣) «أمل والمخيمات الفلسطينية» عبد الله الغريب، (ص١٨٢).
(٤) المرجع السابق (ص٦٩).
(٥) «إيران من الداخل» فهمي هويدي، (ص٤٠٤).

إذ كان واضحًا الدور السوري في دعم «أمل»؛ فضلًا عن أن تلك الأجهزة وضعت في اعتبارها أن «أمل» هي في النهاية: منظمة شيعية»[1].

ومع استمرار اعتداء «أمل» على المخيمات؛ قام الشيخ أسعد بيوض التميمي، وغازي عبد القادر الحسيني بالذهاب إلى إيران في العام (١٩٨٦م) من أجل أن يطلبوا من الخميني أن يتدخل لوقف المجازر التي ترتكبها «حركة أمل» ضد الفلسطينيين في جنوب لبنان، ولكن رفض ذلك، ثم ذهبوا بعد ذلك إلى نائبه (منتظري)، فأصدر فتوى تستنكر هذه المذابح، ولكن الخميني غضب على (منتظري) لأنه تجاوزه، فكان هذا أحد أسباب عزله من نيابة الخميني[2].

القدس جيش ويوم!!

وكان الخميني قد أعلن عن تأسيس جيش القدس سنة (١٩٨٠)، وأن طريقه للقدس يمر بكربلاء، وهكذا تأخر هذا الجيش عن نصرة القدس؛ لانشغاله بحرب العراق، لكن جيش القدس تحول لفيلق القدس؛ الذي تمكن -رغم حربه للعراق- من القيام بعمليات نوعية ضد العديد من الشخصيات والأهداف الإسلامية في أنحاء متفرقة من العالم.

فقد قام هذا الفيلق عبر أجنحته المختلفة، ومنها: أحزاب الله المنتشرة في عدة دول بتفجيرات واغتيالات في مكة، والبحرين، والكويت، ولبنان.

وبعد احتلال أمريكا للعراق قام فيلق القدس بالعديد من العمليات ضد السنة العراقيين والفلسطينيين، بدلًا من حرب الأمريكان؛ الذين احتلوا العراق بما فيها كربلاء، والآن بعد أن تثبت أقدام إيران في العراق وتقاسمت النفوذ عليه مع أمريكا، بدل من العودة لمواصلة الطريق للقدس، يبدو أن هناك أوضاع طارئة تستدعي تغيير وجهته عن القدس للجزر الإماراتية، والقدس لن تضييع، وبإمكانها الصبر قليلًا!!

وأعلن الخميني عن يوم عالمي للقدس؛ ليدغدغ عواطف الفلسطينيين والمسلمين بذلك، عبر ترديد شعارات: «الموت لأمريكا وإسرائيل»، لكن من يموت هم دومًا أعداء الخميني من أهل السنة، وأعداء إسرائيل من المجاهدين فقط!!

حركة الجهاد الفلسطينية:

وفي الثمانينات تواصلت إيران مع حركة الجهاد الفلسطينية المغرمة -لليوم- بالثورة الخمينية؛ حتى أصبحت حركة الجهاد تحسب على إيران والتشيع[3]، وقد قدمت لها الكثير من الوعود والآمال، والقليل من الدعم[4].

وهو ما جعل الشقاقي يحاول فتح خطوط دعم من ليبيا بدلًا من إيران؛ فلقي مصرعه في قبرص بعد مغادرة ليبيا، كما حدث من قبل لموسى الصدر؛ الذي وصل ليبيا، ولم يخرج منها بعد!!

حماس:

ولم ترحب إيران بالعلاقة مع حماس في البداية؛ وحتى سنوات قريبة، لأنها تعلم أن حماس سنية تتبع لجماعة الإخوان، وأن حماس لها خلفية سلفية نوعًا ما، وكان هذا الموقف بتحريض من حركة الجهاد ردًا على

---

(١) نفس المصدر (ص٤٠٣).

(٢) «ماذا يجري في لبنان؟» محمد أسعد بيوض، موقع «مفكرة الإسلام»، (٢٠/٩/٢٠٠٦م).

(٣) انظر: دراسة (حركة الجهاد والهوى الشيعي الإيراني) لكاتب هذه السطور.

(٤) «موسوعة الحركات والأحزاب الإسلامية» تحرير فيصل دراج وجمال باروت، (٢/٢٥١).

جهود الإخوان في رمي الجهاد بالعمالة لإيران[1].

وقد حدثني د. بسام العموش -السفير الأردني الأسبق في طهران، وهو من القيادات السابقة للإخوان- عن شكوى مندوب حماس في طهران له من إهمال الإيرانيين له، بعكس مندوب الجهاد.

حزب الله:

أما حزب الله -الذي أنشأته إيران[2] لمقاومة إسرائيل- فقد أثبتت الأيام أنه وسيلة لتنفيذ الأجندة الإيرانية ومصالحها؛ التي لا تحتوى إزالة إسرائيل، أو عداء حقيقي، فقد غير الحزب أكثر من مرة نظرته لإسرائيل؛ بحسب معطيات المرحلة.

ففي البداية أعلن الحرب على إسرائيل؛ حتى يتبرء من تقاعس وخذلان الشيعة عند غزو إسرائيل عام (٨٢)، **وبعد ذلك** أصبح يحصر الصراع في استعادة الأراضي المحتلة، **ومن ثم جعل** الصراع لبنانيًّا فقط، ولا يتعدى الحدود اللبنانية، وقد تبدى هذا في توقفه عن نجدة غزة بالصواريخ المكدسة عنده، بزعم حرب إسرائيل، وتنصله من الصواريخ التي أطلقت من الجنوب لفك الضغط عن غزة.

كما قام حزب الله بحصار المقاومة السنية والفلسطينية في الجنوب، والقضاء عليها، مما دعا الأمين الأسبق للحزب صبحي الطفيلي بوصف الحزب أنه أصبح حارس للحدود.

وقد بدا بشكل واضح في حرب (تموز ٢٠٠٦) أن الحزب لا يرغب بحرب حقيقية مع إسرائيل، ولذلك تجنب ضرب المصالح الحيوية لإسرائيل؛ رغم زعمه القدرة على ذلك، كما أن إيران ضبطت إيقاع الحرب من خلال إدارتها المباشرة لذلك، والتي نتج عنها احتلال بيروت، وتدعيم قوة الحزب في لبنان، مع اضعاف الحكومة والسنة بالتحديد[3].

كما أن الفلسطينيين في المخيمات اللبنانية الذين يقاسون أنواع عديدة من البؤس والعوز؛ في ظل القوانين والقوى اللبنانية؛ التي تخشي أن يكون الفلسطينيين سند وعون لسنة لبنان، فإن إيران وأذرعها تمارس أنواع كثيرة من الأذى بحقهم، والتضييق عليهم.

ومن أبرز هذه الأمثلة: أن حزب الله من أجل فصل ضابط محسوب عليه في المطار؛ قام باحتلال بيروت، وتحدى الجيش اللبناني، ولم يحسب له حساب، لكن مخيم نهر البارد؛ والذي أعلن حزب الله «أنه خط أحمر» لكن ثبت «أن المخيم خط أخضر!!»-على حد تعبير الشيخ داعي الإسلام-، فتم تدمير وإزالة مخيم نهر البارد، وحزب الله يتفرج! ويعد القتلى السنة من الفلسطينيين والجيش!!

جيش لبنان الجنوبي:

قد يصدم الكثير من الناس حين يعلم أن غالبية أفراد جيش لبنان الجنوبي، أو ما كان يعرف باسم: جيش لحد هم من الشيعة، ولذلك حين انسحبت إسرائيل، وسيطر حزب الله على الجنوب؛ لم يتم معاقبة أحد من أفراد الجيش العميل، بل قدم نواب حزب الله قانون عفو عنهم؛ **حفاظًا على الوحدة الوطنية!**

الاستعداد للاعتراف بإسرائيل:

رغم زعم قادة إيران أنهم ضد إسرائيل وأمريكا

(١) «دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة حماس» تحرير جواد الحمد وإياد البرغوثي، إصدار «مركز الشرق الأوسط» المقرب من حماس، (ص٢٧٦).

(٢) يكفي لإثبات هذا الأمر وجود إيرانيان في قيادة الحزب بشكل غير معلن. «حزب الله» غسان عزي، (ص٣٤).

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر: «حزب الله تحت المجهر» لعلي باكير على موقع «الراصد. نت».

الشيطان الأكبر إلا أنهم وحين كان الأميركيون يغزون العراق في (٢٠٠٣)، قدمت إيران بموافقة المرشد علي خامنئي «اقتراح» لعقد «صفقة كبيرة» لحل النزاع الأميركي - الإيراني.

جوهر العرض الإيراني: نعترف بإسرائيل، ونتنازل عن النووي، ونوقف دعم حزب الله، مقابل منحنا الوصاية على الخليج، والاعتراف بنا: قوة إقليمية شرعية.

تضمن الاقتراح: عرض إيران إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة، والضغط عليها لإيقاف عملياتها العنيفة ضد المدنيين الإسرائيليين داخل حدود إسرائيل العام (١٩٦٧)، التزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني، قبول إيران بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمة بيروت عام (٢٠٠٢م)، أو ما يسميك طرح الدولتين، وتنص على إقامة دولتين، والقبول بعلاقات طبيعية وسلام مع إسرائيل، مقابل انسحاب إسرائيل إلى ما بعد حدود (١٩٦٧م)[١].

فلسطينيو العراق:

حين تمكنت الميلشيات الشيعية العراقية الموالية لإيران من السيطرة في بغداد؛ لم تتورع عن القيام بمجازر بحق الفلسطينيين في مجمع البلديات هناك مماثل لمجازر «أمل» بالمخيمات الفلسطينية بلبنان[٢]، دون أن تتدخل إيران لوقف هذه المجازر، بل كانت بسلاح إيراني، ورضى منها، ولذلك اعترف خالد مشعل أن حماس لم تستطع مساعدة فلسطينيي العراق لدى أصدقائها[٣].

وللأسف! قام ممثل حماس في المجمع باستضافة قوة من مغاوير الداخلية العراقية، على وجبة إفطار رمضاني في مسجد القدس (٢٨/٩/٢٠٠٨)، في حين أن تلك القوة قامت في وقت سابق باعتقال إمام المسجد[٤]!!!

ومن لم يقتل من فلسطينيي العراق: إما بقي تحت سطوة الخوف، وعدم الأمان، أو أصبح لاجئ على الحدود، أو المنافي البعيدة.

ولم تعمل إيران على المساعدة بعودتهم لبيوتهم، أسوة بمئات الألوف الإيرانيين؛ الذين جنستهم في العراق بما تملك من نفوذ!!

كما أنها لم تعمل على تحسين ظروفهم المعيشية، حتى ولا في المخيم الحدود السورية؛ التي تملك فيها حظوة كبيرة.

لا يعترفون بالأقصى!!

رغم تشدق إيران بفلسطين والقدس؛ إلا أن رواياتهم وعقائدهم لا تعترف بالمسجد الأقصى الذي نعرفه! ولذلك ألف أحد أكبار علماء الشيعة العلامة جعفر مرتضى العاملي كتاب بعنوان: «المسجد الأقصى أين؟» جاء فيه: «لقد تبين لنا عدة حقائق بخصوص المسجد الأقصى؛ والذي يحسم الأمر: أنه ليس الذي بفلسطين»!!

وقرر: أن المسجد الأقصى هو في السماء!! كما في كتابه «سيرة الرسول الأعظم»؛ الذي لا تزال تصدر أجزائه تباعًا من عشر سنوات، والذي حاز على جائزة أفضل كتاب في إيران، مما استدعى تكريم الرئيس نجاد له شخصيًّا!![٥]

(١) «القصة الكاملة للعرض الإيراني السري» لعلي باكير في مدونته على مكتوب.

(٢) رصد تفاصيل هذه المجازر كتاب وموقف «فلسطينيو العراق».

(٣) مجلة «البيان» عدد (٢٤٦) (٢/٢٠٠٨).

(٤) «حماس والتشيع السياسي (قراءة في الخطاب)» أحمد عبد العزيز موقع «القلم».

(٥) راجع كتاب «الشيعة والمسجد الأقصى» لطارق حجازي، على شبكة الإنترنت.

دعم إيران لحكومة حماس:

وحين فازت حماس بالانتخابات، وشكلت الحكومة؛ قامت إيران بلعبة ذكية، شرحها أحد موالين حماس بقوله: «وكان الموقف الإيراني من الذكاء بمكان: أن دعموا.. ولم يدعموا حكومة حماس؟؟!!

فإيران أعلنت أنها ستدعم الحكومة الفلسطينية بالملايين، ولم تسلمها؛ لا يدويًّا ولا تحويلًا!

وأعلنت أنها ستتبرع بآلاف السيارات للحكومة، وهي تعلم أن عصفورًا لا يدخل لفلسطين بلا موافقة إسرائيل!

وأعلنت عن تسخير طائرتين للوزراء المسجونين في غزة والضفة الغربية؟؟... وبهذا لن يلومهم أحد بالخذلان»[1].

والأعجب أن إيران أعلنت شهر (٤/٢٠٠٦): أنها ستقدم لحكومة لحماس (٥٠) مليون، ولكن بعد أكثر من شهرين صرح منو شهر متقي -وزير الخارجية الإيراني- أن هذا المبلغ لم يوافق عليه بعد مجلس الشورى الإيراني [2].

وحصدت إيران الثناء العاطر من الجماهير العاطفية، رغم أن بعض المحللين ينبهون أن «طهران مشهورة ببخلها، فبرغم أن حزب الله اللبناني المحسوب عليها؛ والذي حقق انتصارات في السياسية الخارجية طيلة ربع القرن المنصرم، بدءًا من حرب الرهائن في الثمانينات إلى حرب تحرير الجنوب، وانتهاء -الآن- بدوره كحاجز صاروخي لردع أي هجوم «إسرائيلي» على منشآتها النووية؛ إلا إنها لا تقدم له سوى (٥٠) أو (٧٥) مليون دولار سنويًّا» [3].

خذلان غزة:

وها هي غزة تتعرض للإبادة والقصف؛ والناس تترقب صواريخ إيران وحزب الله، فيكون الجواب على لسان سعيد جليلي، وحسن نصر الله: لن نطلق صواريخ على إسرائيل!!

وقد تنازعت سوريا وإيران على بطولة وشرف من الذي ضبط حزب الله؛ حتى لا يطلق الصواريخ، وكأن حزب الله كان في وارد إطلاق صواريخ، وقد أعلن حسن نصر الله من أول يوم: لن نطلق الصواريخ، لأن ذلك لا يفيد غزة، ولا يضر إسرائيل!!

ولكسب عواطف الجمهور قامت إيران بإرسال سفينة تحتوي على أسلحة لغزة؛ وتم ضبطها، وكل عاقل يدرك أن إسرائيل لا تحاصر غزة بحرًا -الآن-، بل هي تقصفها، ولا يمكن لقارب فلسطيني الخروج للبحر، ولكن لضرورات الإعلام والدعاية لا بد من التضحية ببعض البنادق والذخائر.

وبذلك تكون إيران فرضت نفسها بأنها باب للمشاكل، لكنها مستعدة لأن تكون مفتاح للحل -أيضًا-؛ إذا تم مراعاة مطالبها بالنفوذ والسيطرة في المنطقة، ولذلك -وغزة تحت القصف، وإيران تطلق الشعارات والهتافات لفلسطين، وتستقبل قادة حماس، وتشارك في قمة الدوحة لنصرة غزة- كشف النقاب عن مباحثات ولقاءات استمرت طوال سنة (٢٠٠٨) بين مستشار نجاد الخاص مجتبى هاشمي، وبين ويليام بيرى -وزير الدفاع- إبان إدارة كلينتون؛ للوصول لصفقة، على غرار ما اقترحته إيران في (٢٠٠٣) من الاعتراف بإسرائيل، والضغط على

---

(١) مقال (الموقف الايراني من حزب الله وحركة حماس) لصلاح الدين حميدة، على شبكة «فلسطين للحوار».

(٢) «رويترز» (٩/٧/٢٠٠٦).

(٣) مقال (حماس وإيران و«الجهاد المالي») لسعد محيو، صحيفة «الخليج» (٢٣/٢/٢٠٠٦).

المقاومة الفلسطينية!!![1]

ولذلك جاءت نتائج الاستطلاعات في غزة متدنية بخصوص الرضى عن موقف إيران؛ حيث صوت (٥٨,٢ %) أنهم غير راضين عن موقف إيران، وأعرب (٤٥,٥%) عن عدم رضاهم عن حزب الله[2].

تلاعب إيران بالقضية الفلسطينية حقيقة ثابتة:

وكون إيران تستخدم القضية الفلسطينية لمكاسب إيرانية شيعية ليس سرًّا!!

هذا أسامة حمدان -أحد قادة حماس- يقول في مقابلة بالهاتف مع بعض العلماء: «إننا -بإذن الله ﷻ- لا نقبل أن يغير صمود المجاهدين، وصبرهم، وجهادهم، وتضحيتهم في صالح راية غير الراية التي نحمل ونؤمن أن الجهاد تحت لوائها، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله».

و يقول -أيضًا-: «ونرجو أن تكون أمتنا معنا في ذلك، وأن تبذل الجهد في ذلك إلى جانبنا، لا نفرح بأن يقترف هذا النصرَ، وأن يقترف هذا الجهاد، وهذه التضحيات أحد لا نثق به، ولا نعتمد عليه»[3].

أما الدكتور صالح الرقب -القيادي البارز في حماس بغزة-؛ فيعلن بكل وضوح: أن دعوى الشيعة برغبتهم لتحرير القدس وفلسطين «هذه الدعوة المزيّفة، لأن ما يجري على أرض الواقع يُكذب هذه الشعارات؛ التي تعد فقط مطية لكسب تأييد جماهيري، وما يطلقه الإيرانيون في يوم القدس؛ ما هي إلا شعارات وكلمات، ثم بعد ذلك ينفض المولد!»[4].

(١) «الوطن العربي» (١١/٢/٢٠٠٩).

(٢) استطلاع رقم (٦٧) (يناير ٢٠٠٩) نفذه «مركز القدس للإعلام والاتصال بالقدس».

(٣) موقع «المسلم» (١٥/١/١٤٣٠ هـ).

(٤) «حماس والتشيع السياسي (قراءة في الخطاب)» أحمد عبد العزيز، =

ويؤكد على ذلك الكاتب صلاح حميدة الحمساوي بقوله: «السياسة الإيرانية في المنطقة في هذه الفترة تقوم على إبقاء التوتر وتصعيده في أفغانستان، والعراق، ولبنان، وفلسطين؛ حتى تستنزف القوى المتضررة من التصعيد، وتمنعها من التفكير بمهاجمة إيران في هذه المرحلة.

ولذلك؛ فإن إنجاح حكومة حماس ليس من ضمن الأجندة الإستراتيجية الإيرانية في المنطقة»[5].

لماذا لا تنتشر هذه الرؤية؟

ولكن هذه الرؤية الصائبة لحقيقة الموقف الإيراني من قضية فلسطين تلتبس على كثير من المسلمين -الخاصة منهم، والعامة-، لأسباب:

١- أن هذه الرؤية لا يفسح لها المجال للتعبير عن نفسها؛ إلا في مجالات ضيقة ومحدودة، وبلغة غير واضحة -غالبًا-، بل تكتفي بالتلميح -كما في كلام حمدان المتقدم-.

٢- وأيضًا هذا الكلام يصدر فقط حين يكون المخاطب به هم معارضي مشروع إيران، أو في معرض الدفاع عن تهمة ارتباط حماس أو تعاونها مع إيران.

٣- كما أن مما يزيد الأمر لبسًا هو بعض التصريحات لقيادات من حماس، أو جماعة الإخوان التي تضفى على إيران البطولة والمصداقية؛ كما في تصريحات المرشد العام لجماعة الإخوان، أو رئيس المكتب السياسي لحركة حماس؛ حين قال لقناة «العربية»: «إيران على الدوام **منذ انطلاقة الثورة الإيرانية المظفرة** وهي تأخذ مواقف جادة، ومواقف كبيرة ومبدئية تجاه القضية الفلسطينية،

= موقع «القلم».

(٥) مقال (الموقف الايراني من حزب الله وحركة حماس) لصلاح الدين حميدة، على شبكة «فلسطين للحوار».

وفي مواجهة المشروع الصهيوني»[١].

رغم أن السؤال كان: هل تبلغتم عن خطة جديدة لإيران في الموضوع الفلسطيني بعد تصريحات نجاد بإزالة إسرائيل، وعودتها إلى أوربا؟ مما جعل المذيع يعيد السؤال؛ ليجد نفس الجواب، وزيادة:

المذيع: هذا يدفعنا إلى السؤال عما إذا كنتم قد تبلغتم خطة إيرانية جديدة في طريقة تعاطي طهران مع الحدث الفلسطيني، وقد تكونون مشاركين فيها -مثلًا-؟

خالد مشعل: خطة جديدة بمعنى جديدة.. لا أعتقد، لكن كما قلت: **أنا أعتبر السياسة الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية هي سياسة مستمرة، امتداد لنهج متعارف عليه معتمد رسميًّا وشعبيًّا في إيران، ونحن نقدر هذا، ونثمنه عاليًا**، ونحن منسجمون في تأكيدنا على الحق الفلسطيني على حق المقاومة في رفض إعطاء الشرعية للكيان الصهيوني، وإذا كانت إيران تقف مع الحق الفلسطيني؛ فالفلسطينيون بكل فصائلهم يقفون مع إيران، وحقها والدفاع عن نفسها، ونحن وإياهم في خندق واحد أمام المطامع الأجنبية، وأمام التهديدات والاعتداءات؛ سواء الصهيونية أو الأميركية».

٤ - وتقوم إيران بإطلاق تصريحات كاذبة على لسان قادة حماس؛ لتظهر أنها المتولية لشؤون حماس، أو لنفي طائفيتها بدعم حركة سنية؛ حيث نشرت صحيفة «كيهان الإيرانية» [٢]: إن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس (خالد مشعل) قدم تقريرًا حول حرب غزة، لولي أمر المسلمين، مما اضطر حركة حماس لتوضيح أن ذلك ديباجة خاصة بالصحف الإيرانية[٣].

وهذا قد تكرر من قبل حين نسبت المواقع الإيرانية عن مشعل قوله: «إن حماس هي الابن الروحي للإمام الخميني»، وهو مما يستبعد صدوره من مشعل؛ ولم تنفه حماس!! رغم أنه قد زل بقوله: «الشيعة والسنة في خندق واحد»، وإهداء النصر لإيران، وجعلهم شركاء في النصر!!

٥ - كما أن من سياسة إيران: القيام بحملات إعلامية لزيارات قادة حماس لها، ونقل صور قادة حماس في زيارة قبر الخميني، والقيام بالصلاة معًا؛ لترويج الوحدة المزعومة، والكسب من شعبية حماس، وخاصة بعد التعاطف والتضامن الإسلامي الرائع مع غزة وحماس.

وبذلك تكون إيران قد حققت مطلبها من زعم دعم القضية الفلسطينية!!

المطلوب من حماس:

يجب الإقرار بوجود نشاط للتشيع في غزة بخلاف تصريحات بعض قادة حماس مثل: الزهار، وأسامة حمدان، ويكفينا كلام د. صالح الرقب حول سبب تأليفه لكتاب «الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيعة»، وذلك قبل سنة (٢٠٠٠م)، هو «ما لوحظ من زيادة نشاط الدعوة للشيعة الإثني عشرية في الآونة الأخيرة على مستوى قطاع غزة خاصة»[٤]، وقوله -أيضًا-: «ومما يؤسف له أنه تولى طباعة الصحيفة السجادية وتوزيعها في قطاع غزة بعض الجهلة المغرر بهم، وأطلقوا عليها: «الطبعة الفلسطينية»، وكتب أحدهم مقدمة لها؛ غالى في مدحها وتعظيمها!»[٥].

ومن الممارسات التي تجرى على الأرض -في غزة بالتحديد- لنشر للتشيع بشكل مكثف ما يلي:

✳ نشرت صحيفة «الاستقلال» -التابعة لحركة

(١) «العربية. نت» برنامج (ضيف وحوار) (٢٣/١٢/٢٠٠٥).
(٢) بتاريخ (٢/٢/٢٠٠٩).
(٣) «العربية. نت» (٢/٢٠/٢٠٠٩).

(٤) (ص٣).
(٥) (ص٦٣).

الجهاد الإسلامي - بتاريخ (١١/ ١/ ٢٠٠٧م)، مقالًا خطيرًا؛ فيه لمز وتعريض بالصحابي الجليل أبي سفيان، وقد تكرر منها ذلك، وما تبثه إذاعة صوت القدس التابعة للجهاد من أفكار تشجع على التشيع.

* إرسال بعض الجرحى للعلاج في إيران، ويتم الضغط عليهم للتشيع.

* تأسيس بعض الجمعيات التي تباشر التبشير الشيعي مثل:

١ - جمعية الإحسان الخيرية، مقرها الرئيس في مدينة غزة، ولها فروع في كافة أنحاء القطاع.

٢ - جمعية غدير، ومقرها في بيت لاهيا في شمال قطاع غزة.

٣ - جمعية رياض الصالحين؛ مقرها في مدينة غزة.

٤ - جمعية أرض الرباط، مقرها -أيضًا- في غزة.

٥ - جمعية آل البيت.

ولهذه الجمعيات أنشطة بين طلبة الجامعات، وتقوم بترتيب دورات في داخل البيوت للترويج للفكر الشيعي.

* الإعلان عن بداية تأسيس جامعة تحمل اسم: جامعة آل البيت.

* توزيع مطويات شيعية بمناسبة عاشوراء.

* أما في محافظة بيت لحم؛ فتم إنشاء اتحاد الشباب الإسلامي، وبعض المؤسسات التي تنشر التشيع.

هذا أبرز مظاهر التشيع في فلسطين، ولأن حماس هي المسيطرة على غزة، ولأن حماس هي الجهة التي تحاول إيران استغلال شعبيتها ومصداقيتها لخداع المسلمين، فإن على حماس مسؤولية وقاية المسلمين في غزة وخارجها من الانخداع بأحابيل إيران، أو الظن أن دعم إيران لحماس هو بدافع الولاء الإسلامي، من خلال ما يلي:

في الخارج:

١ - على حماس أن تكون أكثر حرصًا في تصريحاتها وخطاباتها؛ وخاصة خالد مشعل، فلا يطلق المدح والثناء العلني لإيران، بل ليكن في المجالس الخاصة، وليس أمام وسائل الإعلام، فحماس تتلقى الدعم من أطراف عديدة، ولم يطلب منها أحد شكرًا علنيًّا، فلماذا إيران دون غيرها؟؟

كما أن هذه التصريحات والزيارات والصور التذكارية عند قبر الخميني وصلاة الجمعة، يتم ترويجها عند كثير من بسطاء المسلمين على أنها تزكية من مجاهدي فلسطين لإيران والخميني والشيعة، وأن منهج التقارب مع الشيعة هو منهج صحيح.

كما أن هذه الصور -خاصة صلاة قيادات حماس مع الشيعة- تخالف قناعات حماس بضلال الشيعة، وخطأ التقارب معهم، وهذه ما كان يعلنه الشيخ أحمد ياسين، والدكتور نزار ريان -رحمهما الله-.

٢ - يجب على حماس تكذيب أي خبر إيراني غير صحيح حول علاقتها بإيران علنًا، والإعلان عن أن أي تصريح لا ينشر في موقع الحركة، أو ما تعلنه هي غير صحيح، لنسحب البساط من أيدي الإيرانيين من استغلال اسم حماس لمصالحهم الطائفية؛ كما حدث في تصريح: «مشعل يقدم تقريره لولي أمر المسلمين»، وقبله ما نسبته وكالة «مهر» الإيرانية لمشعل قوله: «حماس الابن الروحي للخميني».

٣ - على حماس توضيح حقيقة «العلاقة الإستراتيجية مع إيران» بشكل معلن، عبر وثيقة، أو حوار، أو ما شابه ذلك، وليس فقط في المجالس الخاصة للمعارضين للمشروع الإيراني!!

٤ - يجب على حماس تبني قضايا الفلسطينيين في الخارج بشكل قوي وصريح، بخلاف ما جرى في حق

مجازر فلسطينيي العراق، من عدم تسمية المجرم باسمه.

٥ - لا يجوز السكوت عن ما يجرى في المخيمات الفلسطينية في الشتات؛ من تشييع، أو تضييق من قبل القوى الشيعية، وغيرها.

٦ - يجب على حماس الشجب العلني لأي ممارسات إيرانية تمس المصالح الحيوية للدول العربية، كما في مطالبات إيران بالبحرين أو جزر الإمارات، وغيرها، وبيان أن هذا لا يصب في صالح القضية الفلسطينية، فتغاضي حماس عن مثل هذه التصرفات يولد الشك والريبة في قلوب الأطراف العربية، وعدم التأني في بعض التصريحات ضر حماس والقضية الفلسطينية؛ كما في تصريح أبو مرزوق بخصوص جزر الإمارات، والذي تراجع عنه، وصححه فيما بعد.

أما في الداخل:

١ - على حماس العمل على تعزيز التحصين ضد التشيع؛ من خلال التركيز على بث وتثبيت عقيدة أهل السنة، والتحذير من خطر البدع والشرك، وتعزيز مكانة أمهات المؤمنين والصحابة؛ من خلال أجهزة الإعلام التي تملكها، ومنابر المساجد، والمناهج المدرسية والحركية.

٢ - التعامل بجدية أكثر مع ظواهر التشيع في أماكن سلطتها؛ من خطب، ومحاضرات، ومقالات، ومنشورات تروج وتحث على التشيع.

٣ - إبطال نشاطات التشييع التي تقوم بها حركة الجهاد عبر مؤسساتها الدعوية والإغاثية، ولا يقتصر الحزم معهم في قضايا النفوذ والسلطة!!

٤ - عدم منع من يعملون على إفشال المشروع الشيعي في غزة وفلسطين، أسوة بعدم منع بقية الفصائل من العمل مع تبنيها لمشاريع وتوجهات مخالفة لحماس، وبعضها للإسلام نفسه، فلماذا تستطيع حماس إستيعاب نشاط العلمانيين والرافضة؛ تعجز عن إستيعاب نشاط بعض الإسلاميين من مخالفيهم!!

(٢) لماذا لم يتدخل «حزب الله» لنصرة الفلسطينيين في غزّة؟

علي حسين باكير[١]

شكّل العدوان على غزّة فرصة مناسبة لتقييم الموقف الحقيقي لحزب الله من القضية الفلسطينية؛ التي لطالما ادّعى أنه يخوض حربًا في سبيلها ودفاعًا عنها.

كما شكّل مناسبة مهمة لتقييم تحليلاتنا السابقة التي كانت تجري عكس التيار والمناخ العام الذي كان سائدًا لدى شريحة واسعة من الكتّاب والجمهور والمراقبين -آنذاك-؛ والقائلة: إنّ حزب الله مُني في حرب تموز من العام (٢٠٠٦) بهزيمة هي الأكبر على الإطلاق، وإنّ هذه الحرب رسّخت عامل الردع الإسرائيلي، وأدّت الى تحوّلات إستراتيجية، دفعت الحزب إلى الانكفاء نحو الداخل اللبناني؛ للتخلّص من عبء إقفال الجبهة في وجهه، وانحسار دوره كرافعة للدور الإيراني في المنطقة عبر بوابة التسلق على ظهر «العداء لإسرائيل»، و«نصرة القضية الفلسطينية».

وبالتالي؛ بات على الحزب أن يفتّش على أساليب وأدوات وتكتيكات أخرى؛ تعمل على استعادة دوره ولكن بطرق التفافية، وفي هذا الإطار؛ فإنه من المثير للاهتمام إذا ما راجعنا شريط الأحداث بالتاريخ والمضمون إبّان العدوان الإسرائيلي على غزّة؛ سنلاحظ أنّ سياسة حزب الله تحوّلت من مهاجمة إسرائيل إلى مهاجمة دول عربية، ومن الطبيعي أن يتمحور دوره في هذا السياق؛ إذا ما ربطناه بعجزه عن فعل أي شيء تجاه إسرائيل نتيجة لمفاعيل هزيمته في حرب (تموز ٢٠٠٦).

فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار التصريحات الرسمية

(١) باحث فلسطيني في العلاقات الدولية، مقيم في لبنان (٦٥).

التـي أدلى بهـا نصرالله بعـد انتهـاء حـرب تمـوز العـام (٢٠٠٦)، والتـي بـدت أقـرب إلى التعهـدات منهـا إلى التصريحـات؛ مـن قولـه في مقابلـة مـع تلفزيـون الجديـد اللبناني في (٢٠٠٦/٨/٢٧): «لا جولـة ثانيـة مـن الحـرب مع إسرائيل»، أتبعها بقوله «لو كنا نعتقد -ولو بنسبة واحد بالمئـة- أن خطفهـما سيؤدي إلى ذلـك (أي: إلى الحـرب المـدمرة)؛ لم نكـن لنقـدم بالتأكيـد عـلى هـذا الفعـل»، لأمكننا أن نفهم موقف حزب الله في العدوان الإسرائيلي على غزّة بشكل أفضل وأكثر واقعية، بعيدًا عن الأوهام الرومانسـية، أو الانـدفاعات الثوريـة الاعتباطيـة؛ والتـي أصـبحت مرضًـا لـدى شريحـة واسـعة مـن العـرب والمسلمين!

بمعنى آخر: لقد قرر حزب الله الهروب إلى الأمام في العـدوان الإسرائـيلي عـلى غـزّة، عـبر اسـتخدام سـلاح مكبرات الصوت بالهجوم على الدول العربية، وذلك لأنه بكل بساطة لا يستطيع مجابهة إسرائيل، ولا يريد أن يفعل ذلك أصلًا، وقد أضر هذا الموقف بالفلسطينيين كثيرًا، فبدل أن يكون الهدف المساعدة على تسهيل وحلحلة الأمور بالنسبة للفلسطينيين، والمساعدة على تجاوز أبعاد العـدوان الإسرائيلي عليهم، أدى هجوم حـزب الله عـلى الـدول العربيـة -وخصوصًـا مصر- إلى تـأزيم الموقـف، وتصـعيد التـوتر في العلاقـة بـين مصر؛ التـي هـي المنفـذ الوحيـد للفلسـطينيين عـلى العـالم، وبـين حركـة حمـاس المنخرطة في المواجهات.

وهنـا؛ مـن حـق المـرء أن يتسـاءل: هـل كـان هـدف حـزب الله مسـاعدة الفلسـطينيين، أم أنّ هدفـه مهاجمـة المصريين؟ وهل مهاجمة المصريين تساعد على حلحلة الأمور أم تعقيدها؟ وهل يفعل حزب الله ذلك عن جهل؟ أم أنّ الأوامر أتته باستغلال الموقف للتهجم على مصر في سياق معارك مصرية - إيرانية؛ كانت تدور رحاها منذ عدّة أشهر سبقت؟

وإذا كـان الأمـر كـذلك؛ فهـل يعنـي: أنّ حـزب الله يكترث أصلًا بالفلسطينيين؟ وأين إسرائيل من هذا الموقع وهذه الحسابات؟

❁ ولكن السؤال الملح والمهم الذي يطرح نفسه -هنـا-: لمـاذا لم يـرد حـزب الله مواجهـة إسرائيـل، وهـو الذي لطالما صدّع رؤوسنا بأنه الجهة الوحيدة التي تهزم إسرائيل، وتحقق الانتصارات عليها، وتلزم العدو بما لا تستطيع دول أن تلزمه به؟

❁ قبـل الإجابـة عـلى هـذا السـؤال، نـود أن نؤكـد عـلى (٣) معطيـات نعتبرهـا مسـلمات في العلاقـة بـين الحزب وإسرائيل، وهي:

١- حزب الله ليس مستقلًا في قراره إلّا بحدود ضيقة جدًّا وتكتيكية، وقراره الرئيسي والاستراتيجي يعود إلى المرجعية الدينية للحزب؛ التي تشمل الشأن الديني كما السياسي، والعسكري، والمتمثلة -سابقًا- بالخميني، واليوم بالخامنئي -المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية-. (للتفاصيل يمكن مراجعة مبحث «طبيعة العلاقة بين حـزب الله وايـران» في كتابنـا - «حـزب الله تحـت المجهر: رؤيـة شـمولية مغايرة للعلاقـة مـع إسرائيـل وإيران»).

كـما أنّ الهـدف مـن سـلاح حـزب الله لـيس مقاتلـة إسرائيـل بالدرجـة الأولى، وإنـما تشـكّل إسرائيـل مجـرّد ذريعة تسلب الآخرين الحق بمطالبة الحزب بنزع سلاحه الذي يستخدمه لمآرب أخرى؛ لم تعد خفية على عديد من الخبراء، ولسنا في صدد بحثها -هنا- في هذا المقال.

٢- إنّ الحزب لا يخوض حرب إلغاء مع إسرائيل، أو حـرب وجـود، إنـما حـروب محـدودة ذات قواعـد ثنائيـة، يستثمر نتائجها في سبيل الترويج لنفسه ولإيران، ولهذا؛

فإنّ حروبه مع إسرائيل يكون لها قواعد، وخطوط حمراء، وإشارات ثنائية.

٣- إنّ الحروب التي خاضها الحزب -سابقًا- لم تكن بأي حال من الأحوال خيارًا استراتيجيًّا وعقائديًّا بقدر ما هي خيار تكتيكي وموسمي، الهدف منها: قطف الثمار إعلاميًّا وإقليميًّا، وتجييرها لإيران وسوريا.

والّا؛ فأنا لم أعرف أنّ هناك مجاهدين أو مقاومين في تاريخ الشعوب يمنعون الآخرين من الجهاد والقتال؛ إلا إذا كان لهم مصلحة معينة في حصر القتال بهم، وهذا ما فعله حزب الله منذ إقصائه الحركات الجهادية والوطنية وتوليه «حصرية المقاومة» في الجنوب.

۞ وعودة إلى سؤالنا المطروح أعلاه، وإذا ما أردنا -الآن- تحليل موقف حزب الله من العدوان على غزّة؛ من ناحية منطقية موضوعية مجرّدة، فإننا لا يمكن صرف موقفه إلّا وفق ثلاثة احتمالات اجتهادية هي:

الاجتهاد الأول: أنّ الذي منع حزب الله من التدخل والدفاع عن الفلسطينيين، أو التخفيف عنهم رغم امتلاكه القدرة على فعل ذلك -كما يصرّح دومًا-، هو: الوضع الميداني على الأرض في لبنان، والذي فرض قوات دولية وفق قرارات دولية على الحزب التزامها، والتي تعني: أنّ أي تحرّك لحزب الله بخلاف هذا القرار الأممي إنما يعني: خرقًا فاضحًا له، وبالتالي؛ استدعاء عدوان إسرائيلي جديد على لبنان؛ استنادًا إلى المستجدات.

الاجتهاد الثاني: أنّ الحزب لم يتحرك لأنه ممثل -الآن- في الحكومة اللبنانية، وهو بالتالي جزء من الشرعية اللبنانية، ولذلك فهو يتحمّل مسؤولية إذا تحرّك من تلقاء نفسه، وسيؤدي ذلك إلى الإضرار بالشعب اللبناني وبه -كممثل شرعي-؛ نتيجة تحمّل المدنيين أعباء تحرّكه، وبالتالي؛ فهو -الآن- لا يستطيع التدخل، لأن قراره ليس ملكه وحده.

الاجتهاد الثالث: أنّ الحزب لم يكن مستعدًا ومتحسّبًا للدخول في معركة مع العدو الإسرائيلي، وبالتالي؛ فمن الأفضل أن لا يتم جرّه إلى معركة لم يردها هو، وغير مستعد لها، إذ أنّ الأفضلية ستكون أعلى بكثير حينما يعود له تحديد المكان والزمان المناسبين والموائمين لخوض معركة لتخفيف معاناة الفلسطينيين.

هذا من الناحية الموضوعيّة المجرّدة، لكن من الناحية العملية؛ تخضع هذه الاجتهادات لنقاشات تعكس حقائق ونتائج متعلقة بها.

فالاجتهاد الأول -لو صح-: يوصلنا إلى نتيجة مفادها: أنّ حزب الله يعترف -عمليًّا- أنّ حرب (تموز ٢٠٠٦) شلّت قدراته على الجبهة مع إسرائيل، وقيّدت عمله، وسلبته وضعه السابق، كما يعني: أنّ الحزب أصبح يعرف تكلفة أي اشتباك مع إسرائيل، وهو ما يعني: اعترافًا غير مباشرًا بالهزيمة، وبنجاح إسرائيل في تحقيق هدفها من الحرب -آنذاك-، وهو ما يتعارض مع ادّعاء تحقيق نصر الهي!!

والغريب هنا: أنّ فترة العدوان الإسرائيلي على غزّة شهدت إطلاق صاروخين من الأراضي اللبنانية؛ لم يتبنّاهما أي طرف، لكنّ حزب الله سارع إلى الاستنكار متّهمًا من قام بإطلاقهما بأنّه «عميل»!! في وقت كان فيه إطلاق الصواريخ قبل مدّة مفخرة إلهية.. ونصرًا مظفّرًا!!

أمّا الاجتهاد الثاني: فهو لا يصح مع حزب الله، لأنّ الحزب عندما يريد أن يتحرك على مستوى يترك تداعيات إقليمية كبيرة، فإن تحرّكه يأتي بناءً على قرارٍ إيراني، وليس على اتّفاق مع الحكومة اللبنانية، فالمعيار عنده هو مصلحة الحزب وجمهوره، والثمار التي تقطفها إيران، وليس مصلحة الدولة اللبنانية، أو الحكومة اللبنانية؛ التي لا تهمّه ولا تعنيه؛ إلّا عندما يريد أن يحتمي خلفها تحت

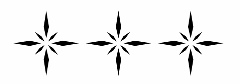
حجّة أنه حزب سياسي، وأنّ الدولة تتحمّل مسؤوليات هو ليس معنيًا بها.

ولذلك؛ نعتقد أنّ هذا اللبس هو لبس تكتيكي؛ ريثما يستعيد الحزب والمجتمع طاقته الكاملة؛ عندها سيتصرف بمعزل عن مصلحة الدولة اللبنانية، أو الحكومة، أو الشعب اللبناني.

أمّا الاجتهاد الثالث: فإنه -إذا صح- لا نعرف لماذا يريد الحزب احتكاره على نفسه في الوقت الذي يطالب فيه دولًا في المنطقة بخوض حروب؛ لم تختر هي -أيضًا- توقيت أو مكان خوضها، وقد لا تريد هي -أيضًا- أن تنجرّ إلى مثل هذه الحرب في هكذا ظروف؛ خاصّة اذا كانت هناك شكوك حول وجود جهة تدفع الفلسطينيين دفعًا إلى افتعال حرب مع إسرائيل؛ التي لا تتوانى بطبيعتها عن اختلاق أي ذريعة حتى وإن لم تكن موجودة لشن حرب عليهم.

وبالتالي؛ ففي حال صح الاجتهاد الثالث؛ فانه يتناقض مع قيام حزب الله بمهاجمة دول عربية بدلًا من إسرائيل، إذ كيف يريدنا أن نتفهم أنه لا يرى أن ينجر إلى هذه الحرب جرًّا، في حين يدفع هو باتجاه الضغط على جر دول عربية إلى الحرب جرًّا!!

إن عقد بعض العرب الآمال الواهمة على الحزب؛ لهو ضرب من الانتحار، وإسهام منهم في تعميق الشرخ في الدول العربية التي أصبحت حالها كحال القطيع الهائم، يقوم كل ذئب بافتراس ما طاب له منها؛ سواءً كان يحمل الهوية الأمريكية، أو الإسرائيلية، أو حتى الإيرانية، وهو ما يجب تصحيحه، وإعادة التفكير به بشكل ملي؛ لمن لم يتعلّم الدرس بعد!



(٣) يا أهل غزة الكرام.. لا تفرحوا بقوم ﴿لَو خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾!

بقلم: أنور قاسم الخضري[١]

في قمة الأزمات التي يمكن أن تهدد مجتمعًا ما؛ يتطلع هذا المجتمع إلى من يقف إلى جانبه؛ يسانده، ويقدم له التأييد والدعم، وهي فطرة طبيعية في التجمعات البشرية؛ خاصة إذا كانت فاقدة لمقومات النصر المادية والبشرية.

وفي إطار المنهج القرآني لمعالجة هذه الضرورة الفطرية يوجه المولى ﷻ عباده إلى رؤية إيمانية أعمق؛ لكي لا تغتر الجماعة الإسلامية -أو المجتمع المسلم- بأي شعار يرفع لها في الأزمات التي قد تعصف بها من قبل أعداء مندسين يتربصون بها الكيد والمكر؛ لكي يوقعوا بمشروعها الذي تعمل لأجله ورسالتها التي تحملها، وتختطف هي ثمرة جهادهم وتضحياتهم.

فهو تعالى يقول -مثبتًا المؤمنين إزاء طائفة تخلفت عن الجهاد في وقت احتاج مجتمعهم إليهم-: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ. وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ. لَوْ

(١) رئيس «مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث» في صنعاء.

خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالًا وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ. إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ. قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة: ٤١-٥١].

وعقب سبحانه على هذه الآيات بقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ. لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[التوبة:٥٦-٥٧].

ويقول تعالى -في شأن غزوة أحد، التي تخلف عنها المنافقون-: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ. وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ، فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، ثُمَّ عقب بقوله: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران:١٥٤-١٦٠].

ولمثل هؤلاء -مهما كانوا!- يأمر الله رسوله -وأتباعه من بعده- بأن يوجه إليهم هذا الخطاب: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾! لا لشيء؛ سوى لأنهم أساسًا من نطق الحق فيهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ رغم إظهارهم الإسلام، ومشاركتهم في القتال، أو الإنفاق، أو الواجبات العامة.

إن النصر هبة من الله -تعالى- يعتمد في شق منه على الجانب المادي؛ وهو جانب يستوي فيه المؤمن والكافر، لأن سنن الله لا تتبدل، ومن سننه في الكون: سُنَّة السببية.

ويعتمد في شق آخر على الجانب الإيماني (الحق)، ولا أقصد به -هنا- ما يوصف بالجانب المعنوي والنفسية القتالية العالية، فهذه قضايا يحملها جنود كل مبدأ أو قضية يؤمنون به -أو بها-.

فإذا كان لا يجوز في شرع الله -تعالى- تضييع الأسباب اعتمادًا على الإيمان، فإنه -كذلك- لا يجوز الاعتماد عليها كلية إلى الحد الذي ينسى معه المسلم إيمانه وتوكله الذي يميزه عن غيره.

بهذه المقدمة؛ أَلِج إلى صلب الموضوع الذي أرغب في الحديث عنه، فقضية فلسطين زايد بها الكثيرون: زعامات، وأنظمة، وأحزاب علمانية -يسارية، وقومية، وليبرالية-، ولم تجنِ الأمة من ورائهم سوى الذلة والهوان، والمزيد من إضاعة الحقوق، وإهدار الكرامة، وخسارة الأرض والبشر والثروة.

ولن أذكّر -هنا- بخيانات هذه التيارات والأنظمة -القديم منها والحديث-؛ فهي أظهر من أن يُستدل

عليها، وإلا لكان واقع الأمة اليوم أحسن منه بالأمس.

وإذا كانت هذه الزعامات والأنظمة والأحزاب العلمانية قد فقدت بريقها، وخبى وهجها، وتحاول اليوم إعادة هذا الوهج وهذا البريق؛ من خلال ركوب موجة الجماهير المتعاطفة مع الفلسطينيين في غزة، مستغلة بذلك ذاكرة الشعوب العربية والإسلامية، فإنها في الحقيقة لم تعد كسابق عهدها؛ من القدرة، والجدة؛ بحيث تستطيع كسب ثقة هذه الشعوب.

وما يخشى المرء منه هو: دخول مزايدين جدد على القضية الفلسطينية، لم يسبق لهم المشاركة فيها، وهم يأملون -اليوم- أن تصعد أسهمهم على حسابها، وأقصد بذلك تحديدًا: إيران؛ وحلفاءها في المنطقة.

ولا أقصد -هنا- بالطبع التهمة الممجوجة التي يوجهها بعض أطراف فتح، وسلطة رام الله، والحكومات العربية، والإعلام العربي من أن «حماس» أداة طيعة لإيران، أو أنها تحقق أجندتها الإقليمية لها؛ وهي تهمة يسوقونها في إطار تبريرهم للتخاذل والخيانة والتخلي عن دورهم، وواجبهم السياسي والديني؛ الذي يجب أن يقوموا به تجاه إخواننا في فلسطين.

وإنما أقصد: ذلك الظهور الذي برز خلال الأحداث الأخيرة في غزة لهذا التيار السياسي الطائفي، في مقابل هوان وتخاذل وخيانة بعض قيادات ودول تنتسب إلى (السُّنَّة) زورًا! بل وقاعدة عريضة من الحركات الإسلامية والعلماء في هذه البلدان ظهرت عاجزة ومشلولة أمام ما يجري! وهو واقع مؤلم؛ يُشكِّك الناس البسطاء في عقائدهم الحقة، ويُحسِّن إليهم عقائد الباطل لدى هذا التيار... وهنا تكمن الفتنة العظمى، والجانب المظلم من واقع المأساة الدائرة في الأمة.

إن وقوف المسلمين إلى جانب بعضهم البعض أمام العدو الكافر واجب شرعي، وضرورة اجتماعية، لأن المسلمين أمة واحدة على من سواهم، ودماؤهم تتكافأ، ولهم جميعًا حق النصرة على المعتدي، ولا يجوز تسليم فرد منهم إلى كافر ليتمكن منه؛ مهما كان الأمر، وقد قررت النصوص الشرعية ذلك، ونص عليه العديد من علماء الإسلام صراحة، قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يسلمه**»[1].

وعندما ضيعت الفرق والطوائف الإسلامية هذا الأصل في دينها، واستبدلت به الولاء الحزبي، والمذهبي، والطائفي الضيق، وقع على الأمة موعود الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2].

واستطاع الأعداء أن يلجوا عليها من هذا الباب؛ كما ولجوا من جملة أبواب أخرى، وأصبحت بعض فرق المسلمين وطوائفهم ترى أن الاستعانة بأعدائها -وأعداء مخالفيها من مذاهب وفرق الأمة- أمر لا بأس به، فأباحت لنفسها أمرًا محرمًا معلومًا من الدِّين بالضرورة.

إن واقع ما يجري اليوم، هو استمرار للتاريخ الإسلامي الذي حذر منه علماء الأمة على اختلاف مذاهبهم الفقهية والفكرية، فإن الشيعة اتخذوا من المظلومية التاريخية منطلقًا لتبرير عداء لا يزال يتوارث عبر الأجيال تجاه المكون الأغلب للأمة؛ ألا وهم: (السُّنَّة)، ولم يستطع غالبية هذا التيار الخروج من ربقة لوازم تاريخية اصطنعها فريق من رواته ومؤرخيه ومراجعه العلمية خلال مرحلة تاريخية؛ بحيث أصبحت تزاحم رواياتهم وأقوالهم نصوص الشريعة، وتعطل مقاصدها العظيمة.

فوقعوا في تكفير الأمة وتخوينها؛ جيلًا بعد جيل، وبذلك استباحوا الوقوف إلى جانب أعداء الأمة ضدهم،

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) الأنفال، (٤٦).

والاستعانة بهم عليهم دون أي شعور بالإثم أو التحرج.

وهنا؛ يجب الوقوف على مشاهد الوقت الراهن في قضية إسلامية تمثل رمز وحدة المسلمين، واجتماع الأمة بشعوبها وبلدانها؛ حيث تمثل فلسطين والعدوان الإسرائيلي على إخواننا المسلمين على أرضها قضية توجب الاتحاد، والاجتماع، والعمل المشترك لهذه الغاية، دون الالتفات إلى التيارات الفكرية والحركية الخارجة عن الدِّين من أي خلفية مذهبية سُنِّيَّة أو شيعية، مع ضرورة التأكيد على التعامل معهم وفق السياسة الشرعية التي تفرز الناس بحسب قربهم وبعدهم، ونفعهم وضرهم.

دموع التماسيح:

ولعل البعض -هنا- يحب أن ينظر إلى الأمور من زاوية واحدة، وبعين الرضى الكليلة فقط، جاهلًا أو متجاهلًا حقائق تاريخية وواقعية حية في شأن طبيعة علاقة هذا المكون الطائفي من الأمة (الشيعة الإمامية) من قضية فلسطين، مستشهدًا ببعض التصريحات والشعارات المعلنة لقيادة الثورة الإسلامية ورموزها ونظامها السياسي في طهران، وبعض حلفائها في المنطقة، والتي تناسب موضع الاستشهاد.

وحقيقة، فإن المرء -ابتداءً- لن يعدم هذه التصريحات والمواقف بالفعل من هذا التيار، وذلك لعدة أسباب:

1 أن هذه القضية مثَّلت عامل قلق واهتمام عند جمهور الأمة المسلمة عبر التعبئة الدينية والقومية، خلال فترة الصراع التي أعقبت قيام دولة إسرائيل، فأصبح وعي الأمة الجمعي يحمل في مكنونه زخمًا من الشحنة الوجدانية والمعرفية والسلوكية تجاه هذه البقعة من الأرض وشعبها؛ تارة باعتبار العامل الديني، وأخرى باعتبار العامل القومي.

1 كما أن الأنظمة والتيارات الفكرية والسياسية في الوطن العربي جعلت من قضية فلسطين مركبًا تحقق من خلاله جانبًا دعائيًّا، وتُسوِّق نفسها من خلاله، وتضع منه شماعة لممارساتها الأمنية، وفشلها الداخلي.

وبالتالي؛ لم تغب قضية فلسطين -وإن بنسب متفاوتة- عن سياسات وبرامج الأحزاب القومية، واليسارية، والعلمانية، وغيرها.

1 في الوقت ذاته؛ مثلت هذه القضية جرحًا غائرًا في الأمة، تمدد أثره إلى كافة جسدها الحي النابض، وأصبحت مأساة شعب فلسطين المنكوب والمشرد شعارًا لوهن الأمة، وهزيمتها، وضياع كيانها السياسي الذي كانت تحتمي إليه، وتمزقها إلى (دويلات) واهنة، ومتناحرة، وفاشلة، وغير مستقرة.

ومن ثَمَّ أصبحت الأمة تتطلع إلى هذا الجانب المشترك من مأساتها؛ علّها تجد مخرجًا يكون علاجًا لكافة مشاكلها.

فكانت فلسطين هي ذلك المحرك الذي يستنهض الأمل، ويغذي روح المقاومة في الأمة تجاه الظلم والعدوان والاحتلال معًا!

1 إن أرض فلسطين والقدس الشريف حاضرة في الخطاب الديني بشكل واضح وجلي، كما أنها ترتبط بوجدان كل مسلم؛ لطبيعة العلاقة الدينية معها، وأواصر التاريخ الذي عمدته مواكب الشهداء من المسلمين بدمائها وأرواحها.

وهي -اليوم- لا تزال حية حاضرة بحضور هذا الخطاب الديني وانتشاره، كما أنَّ هذه الانتفاضة التي تبديها الأمة كلما وجه الإسرائيليون ضربة لهذا الجزء من الجسد؛ يحرك عوامل التوحد والاتفاق، والشعور المشترك بضرورة الولاء والبراء والاجتماع.

إذًا -والحالة هذه-؛ فإن قضية فلسطين تُعدُّ مدخلًا

إلى وعي ووجدان وحراك الأمة ونبضها، وهي الفيصل في بيان مدى الانتماء لهذا الجسد من عدمه، فلن يقبل المسلمون -على اختلاف مشاربهم- أي رافض لحق شعب فلسطين في مقاومة الاحتلال، أو محايد تجاه هذا الصراع؛ أيًّا كان، وإلى أيٍّ انتمى.

وهكذا؛ نتفهم خطابات وتصريحات ومواقف حكومة طهران (الثورة الإسلامية)؛ وحلفائها في المنطقة (سوريا، وحزب الله؛ ومن في حكمهما من التيارات الشيعية) منذ قيام الثورة، وحتى هذه اللحظات التي تواجه فيها (غزة) العدوان البربري الغاشم من يهود.

هذه المواقف الشيعية الإعلامية والشعاراتية الظاهرة لم تصدقها الأحداث والوقائع على أرض الواقع، فمع كل هذا العدوان البربري على غزة؛ إلا أن حسن نصر الله، وحزبه التزما الحياد!! وتفرغا لمهاجمة الدول العربية -التي لا تقدم دعمًا حقيقيًّا للفلسطينيين- في (٢٩/١٢/٢٠٠٨م)، مطالبًا العرب والمسلمين بالتظاهر والانتفاضة نصرة لغزة!

وبالرغم من الفعاليات الصوتية التي قام بها (حزب الله)؛ إلا أنَّ سعيد جليلي -الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني- أكد في اجتماع معه بلبنان أن: «حزب الله لن يقوم بأي عمل»! حسب تصريح سعد الحريري للصحافة، وتأكيده: «أن حزب الله لن يقوم بأي خطأ هذه المرة»، واعتقاده أن: «ما قاله جليلي خير تطمين»[1]!

وقد صرح وزير الإعلام اللبناني طارق متري عقب إطلاق صواريخ من جنوب لبنان باتجاه إسرائيل- بأن حزب الله نفى في -(٨/١/٢٠٠٩م)- للحكومة تورطه في إطلاق الصواريخ من جنوب لبنان على شمال إسرائيل[2]، وسبق للوزير أن أكد أن كل القوى المشاركة في حكومة الوحدة الوطنية؛ ومن ضمنها «حزب الله» مصرة -على الأقل في هذه المرحلة- على رفض استدراج البلاد إلى نزاع آخر مع إسرائيل، وأضاف: «لم نتلق من حزب الله أية إشارة تدل على أنهم قد يخاطرون باستدراج لبنان إلى هذا النزاع»، وأعرب عن اعتقاده بأن «أهالي جنوب لبنان لا يريدون نزاعًا آخر»، مشيرًا إلى «إجماع في لبنان على أن لا مصلحة له بحرب أخرى في الجنوب»[3].

وهذه التصريحات تأتي عقب زيارة رئيس مجلس الأمن القومي الإيراني سعيد جليلي للبنان، وإجرائه محادثات مع رئيس الجمهورية ميشال سليمان، ورئيس الحكومة فؤاد السنيورة، ورئيس مجلس النواب نبيه بري.

وبحسب صحيفة «النهار» اللبنانية، فإن الجانب الإيراني أراد في المحادثات «إمرار رسالة مفادها: أن طهران على استعداد للمساهمة جديًّا في البحث عن مخارج وحلول للأزمة الراهنة في غزة»[4]، ولذلك؛ فإن «حزب الله» حافظ على هدوئه خلال العدوان كاملًا!

وحين أطلقت ثلاثة صواريخ من نوع «كاتيوشا» من القطاع الغربي في جنوب لبنان على مستعمرة نهاريا، مما أوقع أربعة جرحى، نفى وزير العمل والنائب من «حزب الله» محمد فنيش أن يكون الحزب هو من قام بهذا العمل، وهو ما أكدته إسرائيل -أيضًا-! وسبق أن عثر الجيش اللبناني في (٢٥/١٢/٢٠٠٨م) شمال شرقي الناقورة في الجنوب على ثمانية صواريخ معدة للإطلاق موجهة باتجاه الحدود الشمالية الإسرائيلية.

(١) «الشرق الأوسط» عدد (١٠٩٩٧)، في (٦/١/٢٠٠٩م).

(٢) «العربية»، في (٨/١/٢٠٠٩م).

(٣) «الحياة»، في (٦/١/٢٠٠٩م).

(٤) «النهار اللبنانية»، في (٤/١/٢٠٠٩م).

وقال مصدر مطلع في حينها لـ «الشرق الأوسط»: إن الجبهة الشعبية «القيادة العامة» هي المصدر، وأن حزب الله[1] علم بوجودها، وسارع إلى إبلاغ الجهات العسكرية[2]!

إذن؛ لقد مثل «حزب الله» -كما أشار أمينه العام السابق صبحي الطفيلي- حاجزًا أمام قوى المقاومة الأخرى التي ترغب في منازلة إسرائيل من جنوب لبنان بقصره لأي نشاط مسلح على فصيله التابع لطهران معتقدًا ومذهبًا وسياسةً[3].

وأصبح النظام السوري -الذي لم يقدم شيئا يذكر للقضية الفلسطينية؛ سوى استضافته لقيادات الفصائل المقاومة الفلسطينية؛ التي لم ترحب بها الدول العربية الأخرى، بغية بناء مجد على كفاحها ونضالها العادل- يبدو وكأنه ركن في محور «الممانعة»، رغم وقوفه «مكتوف الأيدي» في استعادة أراضيه المحتلة؛ ورغم ماضيه الملطخ بدم الفلسطينيين في لبنان خلال فترة تدخله؛ ورغم دخوله في مفاوضات مباشرة وغير مباشرة مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية قبيل هذا العدوان الإسرائيلي على غزة!

(١) في (٢٩/١٢/٢٠٠٨م) طالب الأمين العام لـ «حزب الله» حسن نصر الله، مقاتليه في جنوب لبنان أن يكونوا متأهبين لاحتمال وقوع هجوم إسرائيلي على لبنان في ضوء ما يحدث من تصعيد إسرائيلي في قطاع غزة! متسائلًا حول الأهداف من نصب صواريخ الكاتيوشا بالجنوب قبل بدء الحرب على غزة، ومنتقدًا إشارة بعض القوى السياسية اللبنانية إلى حزب الله بأصابع الاتهام.

وأضاف: «لسنا في موقع التهمة»، وأن ما جرى «مشبوه من زاوية أخرى»، وأن «وضع هذه الصواريخ ليس تضامنًا مع الأخوة في فلسطين، بل لتقديم التبرير لإسرائيل؛ لكي تشن هجومًا على لبنان»! «سي إن إن»، في (٢٩/١٢/٢٠٠٨م).

(٢) «الشرق الأوسط» عدد (١١٠٠٠)، في (٩/١/٢٠٠٩م).

(٣) انظر: كتابنا «حزب الله من النصر إلى القصر».

إن حقيقة الأمر هي: أنَّ إيران وحلفاءها لا تمارس سوى الخطابات والشعارات، مع شيء من الأعمال التي لا تتجاوز الجانب الإنساني والاستهلاكي للقضية.

۞ وهي تود من وراء ذلك تحقيق أهداف عدة، منها:

1 تسويق إيران كحكومة مقاومة، ودولة داعمة للمقاومة، فقد أشاد المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية علي خامنئي خلال لقائه حشدًا من أهالي قم في (٨/١/٢٠٠٩م) ببلاده التي أصبحت -حسب تعبيره-: «قدوة، ووقودًا لمقاومة شعوب المنطقة»، و«تمثال العظمة، والجلال، والأمل في عيون شعوب المنطقة في سبيل المقاومة والنصر»[4]!

ووجه خامنئي تحذيرًا إلى الدول الإسلامية في كلمة وردت في موقعه على الإنترنت، قال فيها: «إن أولئك الذين رفضوا مساعدة فلسطين يتعين عليهم أن يدركوا العواقب الخطيرة لهذا الخطأ من جانبهم»، معتبرًا الحرب التي تشنها إسرائيل على غزة مرحلة أولى من «هجوم كبير» يستهدف «مقاومة» الجمهورية الإسلامية لإسرائيل[5]!!

من جهته اعتبر نجاد إيران -اليوم- «دولة متطورة، وعزيزة»، و«لها أثرها في المحافل الدولية»، وقال: «الحياة الطيبة الإنسانية لكل البشر أهداف عالية، ونحن نتحرك في هذا الخط، وخط الثورة تصاعدي نحو الكمال؛ وخاصة أن السنوات المقبلة هي سنوات التغيير في العالم، وأفكار وثقافة الثورة سيكون لهما دور فعال في التغييرات القادمة»[6].

(٤) «العربية»، في (٨/١/٢٠٠٩م).

(٥) «الشرق الأوسط» عدد (١١٠٠٤)، في (١٣/١/٢٠٠٩م).

(٦) «وكالة أنباء فارس»، في (١٥/١/٢٠٠٩م).

- **تشويه صورة وسمعة الحكومات والبلدان العربية والإسلامية الأخرى**، وقد سبق معنا شيء من التصريحات التي تصب في هذا الاتجاه.
- **إشعار الغرب بأن لدى إيران أوراقًا مختلفة تلعب بها**، ومن ثمَّ تفاوض عليها من أجل تحقيق مصالحها في المنطقة، وأحلامها القومية.
- **استمالة الحركات الجهادية المقاومة**؛ التي وقعت بين سندان إسرائيل وحلفائها، ومطرقة الأنظمة العربية والإسلامية -الخائنة والمتخاذلة-.

ولو أرادت إيران بالفعل نصرة القضية؛ لكان لها شأن وموقف آخر؛ فالرئيس الإيراني الذي سبق وصرح مرارًا إلى ضرورة محو إسرائيل من الوجود، وإلغائها من الخارطة، مقترحًا أن تستضيف ألمانيا والنمسا -أو أي دولة غربية- يهود إسرائيل؛ **هو ذاته الذي أدلى بتصريح لمراسل صحيفة «نيويورك ديلي نيوز» الأمريكية، في (٢٤/٩/٢٠٠٨م) ألمح فيها إلى استعداد بلاده للاعتراف بإسرائيل؛ حيث قال: «إذا اتفق القادة الفلسطينيون على حل الدولتين، فيمكن لإيران أن تعيش مع دولة إسرائيلية».**

وكان نائبه -إسفنديار رحيم مشائي- قد أعلن -قبل شهرين من تصريح نجاد- أن بلاده «صديقة الشعب الإسرائيلي»، بحسب ما نقلت صحيفة «اعتماد» ووكالة أنباء فارس؛ المعروفة بقربها من المحافظين في إيران.

وقال مفتخرًا: «إن إيران -اليوم- هي صديقة الشعب الأمريكي والشعب الإسرائيلي، ما من أمة في العالم هي عدوتنا، وهذا فخر لنا»[١].

(١) «العربية»، في (٣/١٠/٢٠٠٨م).

وحسب قناة «العربية»[٢] فإن المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية علي خامنئي منع المتطوعين الإيرانيين للقتال في غزة ضد الإسرائيليين، والذين احتشدوا في المطارات؛ من الالتحاق بمقاتلي غزة!

وعوضًا عن تأييد موقفهم، وتسهيل لحاقهم بإخوانهم في فلسطين؛ عبّر لهم عن «جزيل شكره»، منبهًا إياهم بالقول: «إننا لا نستطيع أن نفعل شيئًا في هذا المجال»!

في مقابل ذلك حذر من «مضاعفات عدم اكتراث بعض دول المنطقة بما يحدث»! محملًا البلدان الإسلامية التي تمتنع عن دعم الفلسطينيين «مضاعفات أخطائها الخطيرة في هذا المجال»!!

وذهب خامنئي -في رسالة بثها التلفزيون الرسمي- إلى لوم الدول العربية «التي تدعي الانتماء للإسلام»، والمتواطئة مع «العدوان الصهيوني»[٣]! وحملها مسئولية ما يجري، واكتفى بإعلان يوم (٣٠ ديسمبر) يوم حداد عام في البلاد؛ تضامنا مع الشعب الفلسطيني!

كما ذهب للوم الدول الإسلامية (وهي في عمومها سُنِّيَّة) غامزًا بها؛ حيث قال: «فأي مصيبة أعظم من أن الدول المسلمة التي كان يجب أن تدافع عن أهالي غزة المظلومين في مواجهة الكيان الغاصب والكافر والمحارب، أخذت تعتمد سلوكًا يجعل السلطات الصهيونية المجرمة تقدمها على أنها منسجمة وموافقة على ارتكاب هذه الكارثة المروعة»[٤].

(٢) في (٨/١/٢٠٠٩م).

(٣) وعتب خامنئي على حكومتي: مصر والأردن؛ وهما تحاصران الفلسطينيين، واعتبر الولايات المتحدة الأمريكية -التي شاركت بلاده في دعم احتلالها لأفغانستان والعراق- شريكة في العدوان الإسرائيلي!! انظر: «الجزيرة»، في (٢٨/١٢/٢٠٠٨م).

(٤) «سي إن إن»، في (١٢/١/٢٠٠٩م).

ورأى القائد العام للحرس الثوري الإيراني اللواء محمد علي جعفر أن: «الأسلحة اليدوية الصنع لدى حماس، والأسلحة البدائية التي يمتلكها أهالي غزة كافية للدفاع عن هذه المدينة أمام جرائم الكيان الصهيوني»! وحول ما إذا كان لدى القوات الإيرانية خطة لدعم أهالي غزة؟ أجاب قائلًا: «إن نموذج قتال ومقاومة أهالي غزة لا يحتاج إلى دعم عسكري من قبل الدول الإسلامية، وأن الوضع الجغرافي لهذه المنطقة يوفر للأهالي قابلية الدفاع عنها في مواجهة العدوان الصهيوني»[1]!

وهذا الذي ذهبنا إليه صرح به د. علي مطهري -نجل أهم منظري الثورة الإيرانية آية الله مطهري؛ الذي اغتيل مطلع الثمانينيات- على هامش تجمع لنواب مجلس الشورى في ساحة فلسطين تنديدًا بالغارات الإسرائيلية، فقد قال: «**إن النظام الإيراني تخلى عن واجباته تجاه غزة، وامتنع عن القيام بالحد الأدنى المطلوب؛ وهو فتح الطريق أمام متطوعين للالتحاق بالمقاتلين الفلسطينيين**»، ورفض في كلمة له تعلل النظام الإيراني بعدم تجاوب الحكومات العربية معها، قائلًا: «إن على إيران أن تبادر إلى تحويل المعركة مع إسرائيل إلى حرب برية حقيقية، الأمر الذي من شأنه القضاء على إسرائيل في غضون أسبوع واحد»، موضحًا أن «لكل حرب صعاب، وليس على إيران أن تخاف منها»، وأضاف: «إن اجتماع الدول وبرلمانات الدول الإسلامية لا تجدِ نفعًا، وإن العمل المجدي الوحيد بوجه الجرائم الصهيونية هو العمل العسكري»، واعتبر في هذا السياق أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية لم تقم بالحد الأدنى للقضية الفلسطينية؛ وهو فتح الطريق أمام المتطوعين للقتال، معتبرًا أن من شأن ذلك «منح البلدان العربية الشجاعة -أيضًا-»[2].

ويقول المحلل الإيراني -المقيم في لندن- باقر معين: «الرسالة من الإيرانيين إلى واشنطن هي: أن هناك أخذ وعطاء، نستطيع أن نساعدكم في أفغانستان.. نستطيع أن نساعدكم في العراق.. نستطيع مساعدتكم في لبنان وفلسطين؛ إذا كانت بيننا وبينكم علاقات جيدة»! وأن مفاد الرسالة -أيضًا- أننا «قوة إقليمية، ويجب أن تعترفوا بهذا، وأن تتحدثوا معنا على هذا المستوى؛ إذا كنتم تريدوننا أن نكون متعاونين في القضايا التي تحتاجون إلينا فيها»[3].

أما الزعيم الأفغاني قلب الدين حكمتيار[4] -الذي أقام فترة في طهران؛ عقب خلافه مع حركة طالبان؛ عقب تمكنها من السيطرة على كابل، وعاد -الآن- ليضع يده بيدها لمقاومة الاحتلال الأمريكي في أفغانستان؛ والذي تعاونت معه إيران-.

فقد وجه تحذيرًا إلى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» من الانخداع بما اعتبره دعمًا إيرانيًا «كلاميًّا» لها، متهمًا إيران بأنها وقفت -على مرِّ التاريخ- مع أعداء الأمة الإسلامية، ومشددًا بصورة خاصة على موقفها القريب من الاتحاد السوفييتي خلال فترة احتلاله لأفغانستان، ووقوفها مع الولايات المتحدة الأمريكية في احتلال أفغانستان والعراق، كما قال: «إن جماعات موالية لها قتلت من المسلمين في العراق أكثر مما قامت به القوات الأمريكية».

---

(١) «الرياض» عدد (١٤٨٠٥)، في (٥/١/٢٠٠٩م)، نقلًا عن وكالة أنباء «مهر» الإيرانية شبه الرسمية.

(٢) «العربية»، في (٢٩/١٢/٢٠٠٨م).

(٣) «العربية»، في (٦/١/٢٠٠٩م).

(٤) حددت الولايات المتحدة الأمريكية جائزة لمن يدلي بأي معلومات تقود لاعتقال أو إعدام زعيم الحزب الإسلامي قلب الدين حكمتيار.

وقال في بيان له وجهه إلى «الأعزة البواسل في غزة»: «إن طهران تصيح لحماية الفلسطينيين، وتواصل الحرب الكلامية ضد الصهاينة على لسان حزب الله اللبناني، ولكنها -عمليًا- لا تعمل أي شيء!! متذرعة بأن الدول العربية المجاورة لفلسطين لا تفتح لها طريقًا! ولكنها حجة داحضة كاذبة، ولو كانت طهران متعاطفة مع الفلسطينيين بصدق؛ فلماذا لا تأمر حزب الله بأن يطلق بعض الصواريخ تجاه إسرائيل؟!!

إن هذه الآلاف من الصواريخ؛ التي سلمتها إيران وسوريا لحزب الله هي لأجل أي يوم؟ ومتى يأتي يوم استخدامها؟

ولو كانت طهران صادقة؛ فلتطلب من الشيعة الأفغان والشيعة العراقيين: إما أن ينضموا مع المجاهدين ضد أمريكا الحامي الأكبر لإسرائيل، وإما أن يتخلوا عن مساندة أمريكا على الأقل».

ووصف إيران بأنها: «عدو في لباس صديق»، كونها «تضرب المسلم بخنجر من ورائه»[١].

كما أن المبادرة العربية (المهينة)[٢] التي يغمز بها الإيرانيون العرب؛ سبق أن صرح هاشمي رفسنجاني - رئيس هيئة تشخيص مصلحة النظام - إبان حملته الانتخابية الرئاسية التي خسرها بقبوله لها حال فوزه[٣].

شيء من الذاكرة وشيء من التاريخ:

إنني آمل من أبناء فلسطين وحركات المقاومة الإسلامية السُّنِّيّة أن تمتلك قدرًا من الاتزان، مهما بلغت الظروف؛ ليستطيعوا تقييم المواقف جميعًا؛ وبدون استثناء بمنطق العقل والحكمة، مع استقراء التاريخ والحال معًا؛ دون بتر، أو تناس تحت ضغط الظرف الصعب، أو ثورة العاطفة المكلومة.

إن علاقة الإيرانيين الشيعة باليهود[٤] بدأت قديمًا، وقبل ظهور القضية الفلسطينية، فقد عاش اليهود تحت ظل حكم آل بهلوي في حرية تامة، ورعاية كاملة، ومساندة من بلاط الحكم، فقد شهد عهد رضا بهلوي تحسنًا في وضع اليهود في إيران؛ من خلال سن مجموعة من القوانين المدنية، حصل اليهود بموجبها على تمثيل أنفسهم كطائفة بمقعد واحد في البرلمان، في وقت كانت الصهيونية العالمية واليهود يحيكون التآمر على الخلافة العثمانية؛ لحصول وطن لهم في فلسطين، وكان الإيرانيون يعملون على إضعاف الخلافة بدورهم مطالبين باستقلالهم عنها كقومية فارسية!

وقد ساهم حكام إيران ويهود الدونمة في إضعاف الخلافة العثمانية، وساعدوا على إسقاطها؛ نظرًا لالتقاء مصالح الطرفين بسقوطها.

وتشير الوثائق إلى وجود صلة بين النظام الإيراني السابق، وبين الحركة الصهيونية العالمية، فقد جرى تهجير يهود إيران إلى فلسطين خلال عدة مراحل من القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وكان من أبرزها الهجرات الجماعية بين عامي (١٩٤٩م-١٩٥٢م)، كما أن الدبلوماسيين الإيرانيين في أوروبا عملوا على إنقاذ آلاف اليهود من المحرقة.

وقد أشار مؤلف كتاب «اليهود في إيران» إلى وجود اتصالات سابقة عن عام (١٩٤٨م) بين نظام الشاه في إيران، وقادة الحركة الصهيونية في فلسطين وخارجها؛

(١) «العربية»، في (١٣/١/٢٠٠٩م).

(٢) من المؤسف أن العرب لم يتخلوا عنها في آخر قمة لهم في الكويت، واكتفوا بالإشارة إلى أنها لن تظل طويلًا «فوق الطاولة»!

(٣) (الموقف الإسلامي من الدولة الفلسطينية)، لقاء مكي، «الجزيرة»، في (١٧/٧/٢٠٠٥م).

(٤) تشير بعض المصادر إلى أن الإسرائيليين من أصل إيراني يهودي يتجاوزون (٢٠٠) ألف نسمة، في حين يتجاوز عدد اليهود المقيمين في إيران (٢٥) ألف نسمة.

وأن هذه الصلات أرست أسسها عبر علاقات رسمية عقب قيام دولة إسرائيل؛ التي حرصت على تبادل الزيارات الدبلوماسية، وتنسيق المواقف السياسية مع إيران، وشملت هذه العلاقات الجوانب الاقتصادية والتجارية؛ حيث كان للرأسمالية الإسرائيلية دور فاعل في المشاريع الإنمائية في إيران.

من ناحية أخرى كانت هناك علاقات أمنية وعسكرية بين طهران وتل أبيب، فقد شاركت إسرائيل في إنشاء هيئة الشرطة السرية الإيرانية «السافاك» عام (١٩٥٧م)، عبر جهاز الموساد، وتعاونه مع وكالة الاستخبارات الأمريكية «C.I.A»، كما عملت على تدريب يهود إيرانيين على الجاسوسية، وتوزيعهم على دول الخليج العربي، كما قامت إسرائيل ببيع بعض أنواع الأسلحة إلى إيران، وجرى بين البلدين تبادل في الخبرات العسكرية[(١)].

لقد كانت إيران واحدة من أوائل الدول التي اعترفت بقيام دولة إسرائيل[(٢)]، وأقامت معها علاقات دبلوماسية وتجارية، وكان الشاه محمد رضا بهلوي يعتمد على إسرائيل كمصدر لاستمرار تدفق السلاح، والمعلومات الاستخبارية، وحافظ في سبيل ذلك على موقفه المؤيد لإسرائيل في حروبها مع العرب، مواصلًا تزويد إسرائيل بالنفط خلال فترة الحظر النفطي الذي فرضه العرب في سبعينيات القرن الماضي (١٩٧٣م) أثناء عدوانها على مصر وسوريا، في حين تواصلت هجرة اليهود الإيرانيين إلى فلسطين؛ حتى عقب قيام دولة إسرائيل!

بل وفرت إيران ليهود العراق طريق الهروب والهجرة إلى إسرائيل عقب عام (١٩٤٨م)، وقد رحبت طهران بالوفود الصهيونية على أرضها، وقيادات الكيان الغاصب؛ ففي عام (١٩٧٢م) زارت «غولدا مائير» طهران، ومع انتهاء عهد جمال عبد الناصر ومجيء أنور السادات إلى الحكم؛ رحب شاه إيران بتصريح الرئيس المصري حول أن «حل قضية الشرق الأوسط بيد الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة (٩٩ %)، وأن الوقت قد حان لإقامة تحالف إستراتيجي معها، وأن الحروب ضد إسرائيل قد ولت»، وتبادل الشاه مع السادات الزيارات، وأقامت الدولتان علاقات دبلوماسية كاملة، وظل هذا الوضع قائمًا حتى عام (١٩٧٩م).

وكانت إسرائيل قد قدمت للشاه عرضًا لمساعدة طهران لبناء مشروعه النووي؛ الذي عزم على إقامته؛ حسبما كشف عنه الفيلم الوثائقي الإسرائيلي الذي حمل اسم: «المبعوث»! حيث ظهر في هذا الفيلم السفير الإسرائيلي السابق في طهران «مئير عزري» -الذي مثل إسرائيل هناك مدة (١٧) عامًا-، وهو يدلي بشهادته حول هذه المسألة؛ حيث يظهر أن إسرائيل كانت قد أعربت عن استعدادها لمساعدة إيران في إقامة مفاعلات نووية!

ورغم ما أعلن من قطع إيران علاقاتها مع إسرائيل بعد الإطاحة بحكم الشاه عام (١٩٧٩م)، وإغلاقها سفارة تل أبيب في طهران، وفتح سفارة فلسطينية مكانها قبل الإعلان عن الدولة الفلسطينية بنحو تسع سنوات، ورغم إعلان الخميني عن دعمه للفلسطينيين ووقوفه إلى جانبهم! **إلا أن الواقع الفعلي كان خلاف ذلك، فهذه الشعارات والمواقف المعلنة ظلت رمزية، وفي حدود الدعاية والتسويق، فلم يغير وجود الحكومة الإسلامية في إيران من واقع القضية الفلسطينية في شيء، وعوضًا عن ذلك سعت طهران للتوسع جغرافيًّا على حساب وجود الدول السُّنِّية في الخليج، والقومية**

---

(١) انظر: «اليهود في إيران»، مأمون كيوان، دار بيسان للنشر والتوزيع - بيروت، (٢٠٠٠م).

(٢) عقب انسحاب بريطانيا من فلسطين في (١٤ مايو ١٩٤٨م) أعلن «ديفيد بن غوريون» في اليوم نفسه قيام دولة إسرائيل، وعودة الشعب اليهودي إلى -ما أسماه-: «أرضه التاريخية».

العربية في العراق، فقد اتخذت من فتح القدس ذريعة للمرور من بغداد أولًا! وقد استباحت إيران من أجل هذا الهدف اجتياح البلدان العربية، التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ أو ما كانت تصفه بـ (الشيطان الأكبر)، وربيبتها إسرائيل، فيما عُرف فيما بعد بـ (إيران كونترا)، أو (إيران غيت)، وهي عمليات تسلح حصلت عليها طهران من الولايات المتحدة الأمريكية وعبر إسرائيل!

وهنا؛ يجب على القارئ الكريم أن يقرأ بتمعن شهادة أبي الحسن بني صدر -أول رئيس منتخب للجمهورية الإسلامية الإيرانية عام (١٩٨٠م)- في حوار له مع قناة «الجزيرة» في (١٧/ ١/ ٢٠٠٠م).

كما يجب عليه الرجوع إلى كتاب «وجاء دور المجوس»، والكتب الغربية التي تحدثت عن صلة واشنطن بطهران قبل قيام الثورة وبعدها، وقبل حرب الخليج الأولى وبعدها.

ليس هذا فحسب، بل لقد عملت إيران مع نظام الحكم السوري النصيري، وبالتعاون مع حركة «أمل» اللبنانية على إضعاف الوجود الفلسطيني في لبنان، وتجريده من قواه العسكرية، ويكفي أن يقرأ الشخص كتاب «أمل، والمخيمات الفلسطينية»[1]؛ ليعرف حجم معاناة الفلسطينيين من قبل شيعة لبنان؛ بدافع من إيران خلال الحرب الأهلية في لبنان.

لقد ارتكب الشيعة الموالون لإيران في لبنان مجازر دموية في حق الفلسطينيين العزل، ووقفوا إلى جانب القوى الإسرائيلية؛ التي توغلت إلى بيروت، ووقفوا إلى جانب القوى المسيحية (بقيادة سعد حداد) العميلة لإسرائيل والمحاربة للوجود السني الفلسطيني!

وقد سبق أن تحدثت شخصيات من قيادة حركة الإخوان المسلمين عن هذه الحقائق، يقول الشيخ سعيد حوى: «كنا نتصور أنه بعد انتصار الخميني في إيران أن الشيعة قد تجاوزوا التقية، لكننا -من خلال الواقع- وجدناهم يستعملون التقية مع البندقية»، ويضيف: «سواء في ذلك النظام الحاكم في سورية أو «حركة أمل» أو إيران، يتعاونون مع إسرائيل سرًّا، ويعطونها الذي تريد، ويتظاهرون بخلاف ذلك، وهم يحاربون حربًا طائفية في كل مكان، ويتظاهرون بشعارات سوى ذلك»، ثُمَّ يأسف الشيخ لكون أن: «بعض شباب أهل السنة والجماعة خُدعوا بذلك، وغُرر بهم، لأن عندهم فراغًا استغله هؤلاء المخادعون، فحاولوا أن يقدموا لهم الخمينية على أنها تمثل الأصالة والحيوية؛ وما هي إلا مقبرة للإسلام الصحيح، ومحاولة لدفن الإسلام وأهله! فيا شباب الأمة الإسلامية! انتبهوا...»[2].

الشيء ذاته يقال عن موقف الشيعة من الفلسطينيين في العراق، فقد لاقى اللاجئون الفلسطينيون المقيمون في العراق عقب سقوط بغداد عام (٢٠٠٣م) أعتى أصناف التعذيب، والتنكيل، والقتل على أيدي الميليشيات الشيعية المسنودة من قبل إيران، أو المدعومة من حكومة الاحتلال؛ التي يتولاها شيعة العراق منذ ذلك التاريخ، وتأتي هذه الجرائم -التي تحدثت عنها وسائل أعلام مختلفة، ونقلت صورها- تحت دعوى: حرب (الوهابية)، و(النواصب) الكفرة في نظرة الإثنى عشرية المذهبية!

وقد ألحقت هذه الأعمال بالفلسطينيين أبلغ الأذى؛ حيث خلفت قتلى، ومصابين، وأرامل، وأيتامًا، ومشردين؛ أغلقت أمامهم أبواب الدول المجاورة،

(١) ومؤلفه هو: الشيخ محمد سرور بن زين العابدين.

(٢) راجع: «الخميني شذوذ في العقائد شذوذ في المواقف»، سعيد حوى، دار عمار للنشر والتوزيع - عمَّان، ط١ (١٩٨٧م)، بتصرف.

وتركوا فريسة للميليشيات الطائفية الدموية.

ويكفي الاطلاع على كتاب «فلسطينيو العراق.. بين الشتات والموت»[1]؛ والذي يلخص الانتهاكات التي تعرض لها الفلسطينيون على أيدي الميلشيات الطائفية بالصورة والوثائق؛ ليتأكد من حجم الجريمة.

وقد وجهت وزارة شئون اللاجئين الفلسطينية وهيئات فلسطينية أخرى مناشداتها للمرجع الأعلى للشيعة في العراق علي السيستاني بضرورة إصدار فتوى، أو تصريح يمنع التعرض للفلسطينيين المقيمين في العراق، ويضمن حمايتهم، وجاء رد مكتب السيستاني في العراق على هذه المناشدات في (١/٥/٢٠٠٦م)، في رسالة موجهة إلى وزارة شؤون اللاجئين: أن السيستاني «أصدر فتوى لا تجيز التعرض للاجئين الفلسطينيين المقيمين في العراق منذ عقود، بأي سوء أو أذى، وتطالب بحمايتهم»، وهو رد لم يشر إلى الوضع القائم الذي تحدثت عنه المناشدات!

وفي شأن حزب الله اللبناني تكفي الإشارة -هنا- إلى أن أحداث مخيم «نهر البارد» عام (٢٠٠٧م) التي هاجم فيها الجيش اللبناني حركة «فتح الإسلام» بشكل أدى إلى تدمير المخيم، وتشريد أكثر من ثلاثين ألف لاجئ فلسطيني؛ لم تحرك للحزب ساكنًا!!

حماس في السياسة الإيرانية:

يقول المحلل الإيراني -المقيم في لندن- باقر معين: «الرسالة من الإيرانيين إلى واشنطن هي: أن هناك أخذ وعطاء، نستطيع أن نساعدكم في أفغانستان.. نستطيع أن نساعدكم في العراق.. نستطيع مساعدتكم في لبنان وفلسطين؛ إذا كانت بيننا وبينكم علاقات جيدة»، وأضاف: «أن الرسالة مفادها -أيضًا-: أننا قوة إقليمية، ويجب أن تعترفوا بهذا، وأن تتحدثوا معنا على هذا المستوى؛ إذا كنتم تريدوننا أن نكون متعاونين في القضايا التي تحتاجون إلينا فيها».

الشيء ذاته قاله دبلوماسي غربي -رفض ذكر اسمه-: «يشعرون في إيران أن الطريقة للحفاظ على النفوذ في هذه المنطقة عن طريق حزب الله قوي وحماس قوية»، مستدركًا: «إذا تم حل صراع حماس أو حزب الله اللبناني مع إسرائيل؛ ستكون هذه كارثة إستراتيجية لإيران»[2].

هذا التحليل الذي يتطابق مع مجمل سياسات إيران في المنطقة؛ امتدادًا من أفغانستان إلى العراق ولبنان، ومع أسلوب تعامل الولايات المتحدة الأمريكية معها.

فقد أعلن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد - في كلمة له في الذكرى الثلاثين للثورة الإسلامية الإيرانية، ألقاها أمام ضريح الخميني-: أن الثورة ليست محصورة بالأراضي الإيرانية؛ وقال: «إن كانت هذه الثورة جرت في إيران؛ إلا أنها ليست محصورة بالحدود الإيرانية»[3].

وهذه النظرة الإقليمية لبعد التأثير الإيراني هو ما دفع وزير الخارجية الإيراني منوشهر متكي للقول: «إن التغيُّر الحقيقي في سياسة واشنطن في الشرق الأوسط سيمكِّن طهران من تبني «موقف متعاون» مع الولايات المتحدة»، مضيفًا بأنَّه: «لا يمكن استبعاد إيران من الفهم العام لمنطقتنا»!

ويقول المتحدث باسم البيت الأبيض «روبرت جيبس»: «إن لدينا العديد من القضايا التي نحتاج أن نعمل عليها؛ فالبرنامج النووي، ورعاية الإرهاب، وتهديد

---

(١) لمؤلفه أحمد اليوسف، إصدار موقع «الحقيقة».

(٢) «العربية»، نقلًا عن «رويترز»، في (٦/١/٢٠٠٩م).

(٣) «بي بي سي»، في (١/٢/٢٠٠٩م).

السلام في إسرائيل، هي مجرَّد بعض هذه القضايا التي يعتقد الرئيس أن على القيادة الإيرانية التعامل معها»[1].

ولأن إيران تحاول توظيف ورقة المقاومة لصالحها من خلال تقديم الدعم والسند لها، في حين تخلت عنها الدول العربية بمن فيها مصر، والسعودية، والأردن، نجد تصريحات الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد تحمل طابع السخرية، وإحراج هذه الدول بمواقفها المتخاذلة، يقول الرئيس الإيراني: «إن على جامعة الدول العربية -التي انعقد اجتماع وزراء خارجيتها بالقاهرة لمناقشة الأوضاع في غزة- التحرك سريعًا لإنهاء الهجمات الإسرائيلية على الفلسطينيين في قطاع غزة»، مضيفًا بأن تشكيل لجنة، أو إلقاء كلمات ليس كافيًا.

وقال في اجتماع حاشد في زاهدان بجنوب شرق إيران: «إذا لم ترغب الجامعة العربية في القيام بأي شيء اليوم؛ فمتى ستفعل شيئًا؟!»، وتابع في الكلمة التي أذاعها التلفزيون الإيراني: «أليس هؤلاء المضطهدون فلسطينيون عرب؟! متى -إذن- ستستخدم جامعة الدول العربية قدرتها؟! يجب أن تتحرك الجامعة العربية سريعًا»[2]!

وقد أشار الأمين العام للجامعة العربية عمر موسى في مؤتمر صحافي عقده في (٢٥ ديسمبر) بمناسبة حصاد عام (٢٠٠٨م): إلى أن: «حزمة الحلول التي قدمها الغرب لإيران في شأن ملفها النووي تتضمن دورًا إقليميا لإيران»، مشيرًا إلى أنه: «ليس من حقهم، أو من حق إيران الحديث عن المنطقة وأمنها؛ من دون وجود العالم العربي في هذا الموضوع»، محذرًا من أن: «ما يحدث يشكل طعنة للقضية الفلسطينية، وربما قد يؤدي إلى أن القضية لن تقوم لها قائمة»، ومعترفًا بوجود «تقصير عربي» تجاه الحصار المفروض على قطاع غزة؛ الذي وصفه بأنه: «أسوأ صور العدوان»، وبأن العرب لن يصلوا إلى «نتائج حاسمة في كثير من القضايا»، لأنهم ليسوا «اللاعب الوحيد فيها»، ونتيجة «للضعف العربي».

وأنا هنا لا اتهم «حماس» -لا قدر الله- بأنها لعبة، أو ورقة بيد إيران، فظننا بهم أنهم أغير على شعيرة الجهاد من أن تدنسها عقائد (الإثنى عشرية) الباطلة.

لكننا نريد التأكيد على المعنى ذاته؛ الذي تحدث عنه الشيخ العلامة يوسف القرضاوي عن هزيمة نظام جمال عبد الناصر؛ الذي طالما تغنى بنصرة القضية الفلسطينية أمام إسرائيل.

ويضيف: «أذكر أننا أقمنا مهرجانًا في منظمة التحرير، وكان ممّن تكلم فيه العالم القطري الغيور المعروف الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، فكان مما قاله للشباب الفلسطيني: اعتصموا بحبل الله، وتمسكوا بالدِّين؛ ينصركم الله على عدوكم، فما كان من بعض الشباب الطائش إلا أن صاحوا وهتفوا في وجه الشيخ: لا دين إلا السلاح!».

ويعلق الشيخ على هذه الحادثة بالقول: «إن إخراج الدِّين من المعركة هو الذي أضر بهذه القضية أبلغ الضرر، لأننا نجرد أنفسنا من أمضى سلاح يحاول عدونا أن يضربنا به، فهو يستغل الدِّين ويوظفه في تعبئة قواه، وتجنيد رجاله، وهو غير مؤمن به، فكثير من الصهاينة (علمانيون) لا دين لهم، ولكنهم -وإن لم يؤمنوا بالدين- يؤمنون بقوة الدين، وأهمية توظيف الدين في معركتهم».

ويضيف الشيخ القرضاوي: «وكم نادينا قومنا: إننا يجب أن نحاربهم بمثل السلاح الذي يحاربوننا به، فإذا حاربونا باليهودية؛ حاربناهم بالإسلام، وإذا قاتلونا بالتوراة؛ قاتلناهم بالقرآن، وإذا قالوا: التلمود؛ قلنا:

---

(١) «بي بي سي»، في (٢٩/١/٢٠٠٩م).

(٢) «رويترز»، في (٣١/١٢/٢٠٠٨م).

البخاري ومسلم، وإذا قالوا: نعظم السبت؛ قلنا: نعظم الجمعة، وإذا قالوا: الهيكل؛ قلنا: المسجد الأقصى.

ولا يفل الحديد إلا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم، لأن ديننا أقوى من دينهم، إذ كيف يكون المنسوخ في قوة الناسخ؟ وكيف يكون المحرف والمبدل في قوة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟».

ثُمَّ تحدث الشيخ عن نكسة عام (١٩٦٧م) لنظام جمال عبد الناصر، بقوله: لقد «رأى بعضهم في هذه الهزيمة أو النكسة درءًا لفتنة عارمة؛ كادت تخلع الناس من إيمانهم، وتفسد عليهم دينهم، حين استسلموا للطاغوت، وأعرضوا عن الله.

وكان الداعية الكبير والمفسر الشهير الشيخ محمد متولي الشعراوي من هؤلاء الذين نشرت عنه الصحف أنه سجد لله شكرًا عندما وقعت الهزيمة! ولم يكن ذلك لأنه يؤيد الصهيونية، ويكره وطنه مصر، أو يتمنى له الخذلان! ولكن يبدو أنه رأى الهزيمة المؤقتة لإيقاظ الأمة، وردها إلى دينها ومرجعيتها وأصولها؛ خيرًا من نصر كاذب يؤدي في النهاية إلى دمار الأمة وهلاكها، فرأى الشيخ في هذه المصيبة نعمة من وجهة أخرى، وهي: إذلال الطاغية المفتون بسلطانه، المغرور بقوته، الذي أصبح صنمًا معبودًا لدى الكثيرين؛ فعرفته هذه الهزيمة قدره، وألزمته حده؛ فوقف عنده.

لقد رأى الشيخ الشعراوي أن تحرير الشعب من الفتنة بالطاغوت أهم من نصر سريع يتحقق في معركة، ثم تعقبه مآس لا تنتهي، وويلات تجر ويلات إلى ما شاء الله»[١].

(١) «القرضاوي سيرة ومسيرة»، موقع «إسلام أون لاين»، الحلقة الخامسة، في (٢٦/١٢/٢٠٠٨م).

إن حركة المقاومة الإسلامية «حماس» امتداد طبيعي لحركة (الإخوان المسلمين) على أرض فلسطين؛ التي كانت من أوائل القضايا هدفًا للحركة مع نشوئها في عهد المؤسس حسن البنا -رحمه الله تعالى-، وهي بذلك تمثل صورة حية وناصعة لجهاد المسلمين السُّنة لليهود الغاصبين، فحماس حركة سنية من منظور خلفيتها، ومنطلقها، وبيئتها الحاضنة، وهذا أمر يلمسه كل من يعرف الحركة عن كثب، ولا جدال أنها حركة جهاد، ومقاومة منذ تأسيسها.

وهذه الحقيقة تقابلها -أيضًا- حقيقة أخرى وهي: أن حركة الإخوان المسلمين كانت من أوائل الحركات التي استبشرت بقيام الثورة الإسلامية في إيران واتصلت بها؛ على اعتبار أنها تنتمي للأمة وعقيدتها، وأنَّ بالإمكان تجاوز الخلافات المذهبية؛ لتحقيق تلك الشعارات التي أعلنتها الثورة الإسلامية في طهران، ومثلت حلمًا للمستضعفين والمصنفين في خانة العداء لأمريكا وإسرائيل.

وكانت الحركة -ولا تزال- تقف من الثورة الإسلامية موقفًا حياديًّا في الغالب الأعم، كما أنها لا تعلن بشكل رسمي موقفًا صارمًا من عقائد الثورة المعلنة والقائمة على رؤية مغايرة لعقيدة الأمة، والمعبرة عن نظرة تكفيرية لها، وهذا -بلا شك- يختلف بين التيارات الداخلية للحركة، ومواقف بعض الشخصيات فيها.

وحيث إنَّ حركة الإخوان المسلمين وجدت منذ نشوئها حربًا ضروسًا عليها؛ من قبل الأنظمة العربية القومية منها، واليسارية، والعلمانية؛ فقد حاولت أن توجد لها سندًا في ظل ما عانته من قتل، وتعذيب، وتشريد، ومضايقات أمنية وسياسية ودينية، وبالتالي؛ تواصلت مع أطراف مختلفة، وحاولت بناء تحالفات مع قوى محلية ودولية؛ عبر التواصل معها، وبناء علاقات بينية.

ولأن إيران كانت تخطط من أجل تثوير المنطقة، والعمل على تصدير ثورتها؛ فقد وجدت في هذا التواصل سبيلًا لتمرير أفكارها ومبادئها ومخططاتها، غير أنَّ ما جرى من حرب تجاه العراق، وما أعقب ذلك من تصرفات؛ أيقظ التيار السُّني، وجلى طبيعة النظام الإيراني الجديد ورؤيته الإستراتيجية تجاه المنطقة.

هذا الواقع الجديد دفع بحركة الإخوان المسلمين إلى التحفظ (غير المعلن) تجاه إيران مع محاولة الإفادة منها كأي نظام قائم في المنطقة، فلم تقطع الصلة به مطلقًا، ولم تندمج في فكره ورؤيته ومخططه التآمري على الأمة.

أما فيما يتعلق بحركة المقاومة الإسلامية «حماس»؛ فإن الأمر يختلف، فحماس كانت لا تزال تعمل بصمت في فلسطين.

ونتيجة للحصار عليها عاشت أجواء من الانغلاق والحذر؛ حيث كانت استراتيجيتها تقوم على البناء، والتربية، وتوسيع قاعدة الانتماء الفكري والحركي إلى صفوفها، وشيئًا فشيئًا نمت، وترعرعت، واشتد عودها، وأصبحت حركة مقاومة مسلحة، لكنها بلغت الرشد في وقت هرمت فيه الأنظمة العربية وخارت، وحيث إنها تقاتل عدوًّا محاربًا لديه من السلاح ما يفوق كل تصور، حتى أصبحت مكشوفة أمامه؛ إلا من الخونة والعملاء.

فهي بين نارين... لا تدري «حماس» بأيهما تستجير! أبالأنظمة العربية؛ بما في ذلك السلطة الفلسطينية التي يرأسها عباس[1]؟ أم بإيران؛ التي تقدم لها ما تحتاج؟

علمًا بأنها ستجني من ورائه ما تريد، في حين تبدو الأمة الإسلامية فيه مكبلة بالأوزار، والوهن، والتفرق، وخور العزائم؛ إلا بقية باقية من الغيورين على دينهم وأمتهم.

«القدس» لنا و«حماس» لنا.. والله بقوته معنا:

يقول محمد باقر خرازي -أمين عام حزب الله الإيراني، الراعي لباقي التنظيمات المماثلة في المنطقة-، في تصريح لصحيفة «عصر إيران»، وأعادت نشره وكالة أنباء «أخبار الشيعة» الإيرانية: «ما هي الفائدة التي جنيناها، أو سوف نجنيها من دعم الحركات الفلسطينية؟!

فإذا أردنا دعم الفلسطينيين؛ يجب أن نكون متيقنين أن فلسطين ستكون سائرة على مذهب أهل البيت، وإذا لم تكن على مذهب أهل البيت؛ إذن ما الفرق بين إسرائيل وفلسطين؟!

وإلى متى تكون سفرة الشعب الإيراني ممدودةً للغرباء، فيما الشعب الإيراني يتأوه جوعًا؟!».

أما نحن؛ فيجب أن نقول: إننا مع «حماس»، وأن على «حماس» -هي الأخرى- أن تكون معنا، فسفينتنا التي تحملنا هي ذاتها السفينة التي لحق بها (آل البيت)، و(الصحابة) الكرام، وأوصلتهم إلى بر الأمان.

أما إذا خذلنا «حماس» وتركناها؛ فلنبكِ على أنفسنا (ضياع نصر لم نحافظ عليه محافظة الرجال).

---

(١) الذي رفض التجاوب مع نداءات المنظمات الحقوقية لرفع دعوى قضائية أمام المحكمة الجنائية الدولية ضد القادة السياسيين والعسكريين للاحتلال الإسرائيلي بتهمة ارتكاب جرائم حرب في حق الشعب الفلسطيني، كونه «المخول الأول» برفع أي قضية من هذا النوع حسب =

= لوائح المحكمة الجنائية الدولية «التي لن تنظر في القضية دون موافقته».

وقد شكلت أكثر من ثلاثين جمعية مدنية وحقوقية فرنسية جبهة؛ لرفع دعوى لدى المحكمة الجنائية الدولية بهذا الشأن.

وقال عضو باللجنة المذكورة: إن احتمال أن تصل هذه القضية إلى القضاء الدولي هو بيد الرئيس عباس؛ مؤكدًا أن اللجنة بعثت له العديد من الرسائل تطلب منه أن يقدم شكوى إلى المدعي العام بالمحكمة الدولية، لكنها لم تتلق منه ردًّا. «الجزيرة»، في (١٣/١/٢٠٠٩م).

«مؤتمر الأزهر» والتقريب بين المذاهب

محمد العواودة[1]

في (الحادي عشر من آذار / مارس) عقد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف مؤتمره الثالث عشر للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ومن أهم محاوره: مناقشة التعصب الديني، والافتراق العقدي، ودور النزاعات الطائفية في إضعاف الأمة الإسلامية، والبحث عن السبل الكفيلة لجمع كلمة الأمة، وإقامة وحدتها.

بالنظر إلى توصيات مؤتمر الأزهر السابق في عام (٢٠٠٢)، وما توقع منه من إنجازات وحلول للإشكاليات المطروحة -سالفة الذكر-؛ التي لم يتحقق منها الكثير على أرض الواقع، نذهب للاعتقاد أن المؤتمر الحادي عشر اتخذ هو الآخر صورة نمطية وتكرارية لدعوات سابقة، يغلب عليها طابع المجاملات، والبعد عن «المدرسة الواقعية» للبحث الجاد.

فالواقع الصريح يؤكد أن الخلاف العقدي بين المذاهب الإسلامية؛ وعلى وجه الخصوص بين «السنة والشيعة» لن تجمعه مقاربة تقليدية، وأن ضعف الأمة، وتعزيز وحدتها العقدية، ولم شملها على أصول واحدة؛ يحتاج إلى وسائل غير اعتيادية، وأن التعصب المذهبي، والتوتر العقدي والسياسي ما زال يتسيد المشهد المذهبي الإسلامي؛ الذي لم تزحزحه المؤتمرات السابقة للتقريب بين المذاهب الإسلامية؛ التي طبقت توصياتها على أرض الواقع بعكس مدلولاتها وتمنياتها.

بعد مؤتمر الأزهر لتقريب المذاهب الإسلامية عام (٢٠٠٢) استثمرت إيران المعني الأول بالعقيدة الشيعية، وتصدير أفكار الثورة الخمينية، وهي الدولة ذات الحضور الدائم في مؤتمرات التقريب بين المذاهب الإسلامية، دعوات التسامح السني في المؤتمرات السابقة؛ لبسط وتعزيز العقيدة الشيعة في بعض المجتمعات الإسلامية السنية؛ والخليجية منها بخاصة، وهي المسألة التي أثارت حفيظة الشيخ يوسف القرضاوي -رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين-، وانتقدها في حوار مع صحيفة «المصري»؛ حيث قوبل بردود عاصفة من وكالة الأنباء الإيرانية «مهر»، وبعض المراجع الشيعية، من أبرزهم: محمد حسين فضل الله، ومحمد علي تسخيري، وهي الردود التي كشفت عن وجه إيران الحقيقي تجاه أهل السنة وعلمائها.

ناهيك عن ذلك، وعن الدور الإيراني المعروف في لبنان والعراق، أطلقت إيران بعد توصيات مؤتمر عام (٢٠٠٢) ألسِنة أفّاكيها من أمثال: علي أكبر ناطق نوري، ومن قبله حسين شريعة مداري، بالادعاء أن البحرين هي جزء من إيران التاريخية فيما أسموه بـ: «المحافظة الرابعة عشرة لإيران»، غير الزيارات الاستفزازية المتكررة لشخصيات دينية وسياسية إيرانية إلى الكويت؛ حيث كانت تبادر السلطات الكويتية إلى طردها، بعد أن ثبت تورطها في نشر التشيع، والتورط في أعمال عدوانية على أراضيها.

وعلى هذه الخطى سارت دولة المغرب قبل أيام؛ بإعلان قطع علاقاتها مع إيران، بعد أن ثبت أن إيران تقوم بأعمال مماثلة فيها.

وبعكس توصيات مؤتمر (٢٠٠٢)؛ الذي دعا إلى مناصرة الشعب الفلسطيني، ودعم صموده بكل الوسائل لمواجهة الممارسات القمعية الاسرائيلية، من بين ذلك: تخصيص زكاة أموال المسلمين لهذه الغاية، عمدت إيران إلى دعم بعض فصائل المقاومة الإسلامية بأموال لغايات

(١) باحث وكاتب أردني.

الاستقطاب السياسي، بغير المقصود الجمعي للزكاة، ما ساهم في تعميق الشرخ السياسي والايدولوجي بين الفلسطينيين، وساهم -فعليًّا- في تذرير الموقف الفلسطيني، وخلخلة عمقه الاستراتيجي.

الدولة الفارسية؛ التي ما فتأت ترفع راية الإسلام، وتحرير القدس، والوحدة الإسلامية، والتقريب بين مذاهب المسلمين، واحتضانها لمؤتمرات عديدة تكرس لذلك؛ ما زالت تتمسك بالإرث الإمبراطوري الشاهنشاهي؛ ذي الطبيعة العدوانية المعلنة للعرب والمسلمين، بإقرار نهجه وأفعاله؛ التي أسفرت -عمليًّا- عن احتلال إيران لجزر الإمارات العربية، وبعض الأراضي العراقية.

وتستثمر إيران الثورة؛ التي ترفع الشعارات الإسلامية بالنظر إلى هذه التطلعات بطريقة أكثر خبثًا، وتمارس لأجلها شتى أنواع الخداع والتحايل والتضليل؛ التي وفرها لها النظام الفكري الامامي الخرافي؛ الذي يطالب بالثأر من العرب والمسلمين السنة، واستباحة أراضيهم، فكيف لمؤتمر الأزهر، بعد أن أعجزه صياغة أية مقاربة مع الشيعة منذ تأسيس أول دار للتقريب بين المذاهب في مصر؛ أن يصدق جدوى هذه المؤتمرات؟!

كيف يتم التقارب مع الشيعة؟! وعلى أي أساس؟ ونصف مليون نسمة من سكان طهران الأصليين من السنة ليس لهم مسجد واحد يصلون فيه، بينما توجد كنائس للنصارى، وبيع لليهود، وبيوت نار للمجوس وغيرهم؟

وكيف يتم ذلك؟! مع دستور عنصري؛ يشترط الاعتقاد بمذهب التشيع لتولي المناصب في الدولة؟

وكيف يتم ذلك؟! ويشهد إقليم عربستان، وبلوشستان، والأهواز؛ الذي تقطنه أغلبية عربية عمليات ترحيل قسري من الإقليمين والمدينة، واستبدالها بسواكن فارسية؟

وكيف يتم ذلك؟! مع قدسية الطواف على قبر أبي لؤلؤة قاتل الفاروق؟ وكيف؟ وكيف؟

كان من الطبيعي أن تقود السياسية الإيرانية تجاه العرب والمسلمين إلى تعميق الشرخ المذهبي، وهي ما زالت تحمل حلم فارس، وأجندات الدولة الشاهنشاهية، وأحقاد العقيدة الامامية؛ ومخططاتها الإجرامية، ومن ثم تحاول تمريرها على العرب والمسلمين؛ من خلال دعوات التسامح السنية، منتظرين اللحظة الحاسمة لتنفيذ مخططاتهم الكهنوتية؛ التي تؤكدها «الخلجات الباطنية»؛ التي تظهر على ألسنة بعض المسؤولين الإيرانيين بين الحين والآخر، في لحظة التجلي و النشوة، التي يوقظها التقدم في المجال النووي، والآخر الباليستي، واقتحام المجال الفضائي، والاقتراب من الأهداف التاريخية.

أعتقد: أنه من السذاجة بمكان أن يروج بعض علماء أهل السنة بعد انعقاد مؤتمر الأزهر الثالث عشر، بالقول: إن ثمة قواطع عقدية مشتركة بين السنة والشيعة! في محاولة لإنجاح المؤتمر بروتوكوليًّا بشكل مسبق.

أليس تلك هي الرتابة والنمطية بعينها في حوار المذاهب؟ أليس من الأجدى الخروج عن هذه وتلك، ووضع شروط مسبقة للحوار مع الروافض؛ حتى يتخلصوا من الأدران السياسية، والثقافية، والخرافية، والأحقاد القبورية؛ التي التصقت التصاقًا جنينيًّا بمذاهبهم؛ التي كان لها الأثر الكبير في تكريس التعصب المذهبي، والافتراق العقدي، والتأجج الطائفي، وضعف الأمة الإسلامية في الراهن المعاصر؟!

لعل مناقشة هذه الإشكاليات بشكل صريح وواقعي على طاولة المؤتمرات، هو ما نعتقد -بتواضع- أنه سيضع تمنيات المؤتمرات السابقة على قدر كبير من الجدة، ويؤدي إلى تحقيق حلم المسلمين جميعًا.

التشيع الطائفي
وكيف يستغل الدولة الوطنية وشعاراتها للتمدد في مناطق السنة

د. طه الدليمي[1]

في نيسان الماضي كنت في مجلس ضم نخبًا كثيرة: عراقية، وعربية.

كان أحد الأشخاص العراقيين المعروفين يتحدث بحماس عن الأخوة السنية الشيعية، والشيعة العرب؛ ولا فرق بين سني وشيعي.. والبلد الواحد.. والوشائج.. والمصاهرات.. والدين؛ الذي يشد الجميع بحبله المتين!

قلت له: حضرة الشيخ!

يذكر المؤرخون أن بغداد تعرضت منذ تأسيسها على يد المنصور حتى الآن إلى (١٦) احتلالًا، أي: بمعدل احتلال واحد كل (٨٠) سنة، وإذا كانت معركة الشيعة معنا في الاحتلال الأخير دارت في العاصمة بغداد، ووصلت أطرافها إلى الفلوجة.

فإننا -إذا بقينا على هذا التثقيف- سنصحو على الشيعة عند الاحتلال القادم أو قبله بعد أقل من خمسين سنة -لا سمح الله-، وهم يقاتلوننا في الفلوجة والأنبار.

۞ وإلى من يستغرب مني هذه اللهجة (الطائفية)، والرؤية (التشاؤمية) الحقيقة التالية:

كل الدول ذات التنوع الأثني (دينيًا، أو عرقيًا، أو غيره) يقوم كيانها على أساس العقد الوطني؛ الذي يعلو على هذه المكونات الاجتماعية، التي لا تكاد تخلو منها دولة في العالم في العصر القديم والحديث.

وعلى هذا الأساس قامت الدولة الحديثة في العراق سنة (١٩٢١).

يمكننا القول: إن الحكومات المتعاقبة على حكم هذه الدولة كانت في غالبها ذات انتماء سني.

فالملوك الذين حكموا من سنة (١٩٢١-١٩٥٨) كانوا من أهل السنة، ورؤساء الوزارات الذين تداولوا السلطة في تلك الفترة أكثرهم كذلك.

والثورة التي قلبت النظام من ملكي إلى جمهوري قادتها سنة.

وهكذا دولة البعث -التي استلمت زمام الحكم (٣٥) سنة- حكمها رئيسان؛ كلاهما سني من تكريت في غربي العراق.

والسؤال الذي أريد طرحه -هنا-:

ما الذي حصل على صعيد ديموغرافية العراق فيما يخص الطائفتين: السنية والشيعية، في هذه الحقبة (السنية) التي امتدت (٨٠) سنة؟

۞ دولة (سنية) وطنية، وتمدد شيعي طائفي!!!

لنأخذ العاصمة بغداد، والبصرة -ميناء العراق- مثالين على ما أقول:

في سنة (١٩٢١) كانت بغداد مدينة سنية بامتياز، لا تزيد نسبة الشيعة فيها إلى السنة على (١٠٪)، أو أقل من ذلك؛ وكذلك كانت البصرة.

وانتهت هذه الدولة الوطنية (السنية) في سنة (٢٠٠٣) -أي: بعد اثنتين وثمانين سنة-.

فما الذي طرأ على هذه النسبة؟ هل تغيرت؟ أم بقيت ثابتة؟

وإذا تغيرت؛ فلصالح مَن: أهل السنة أم الشيعة؟

طبيعة الأمور تقضي بأن النسبة: إما أن تبقى كما هي، أو تتغير؛ ولكن لصالح السنة؛ على اعتبار أن انتماء

(١) كاتب عراقي، ومشرف موقع «القادسية».

الدولة في هذه الحقبة كان سنيًّا.

لكن المفاجأة أن الحاصل هو العكس!!!

العكس - تمامًا -، وبفرق كمي ونوعي خطير!

أما بغداد؛ فقد تعرضت إلى موجات متلاحقة كبيرة من هجرة أهل الجنوب؛ سيما في بداية عهد الجمهورية، واستمرت هذه الهجرة بشتى الأشكال والأسباب؛ دون أن يحس بخطورتها أحد -إلا القليل الذي لا تأثير له- ، أو يعترض، أو يحاول إيقافها.

كيف؟! والشعب العراقي شعب واحد؛ لا دين يفرقه، ولا مذهب يميزه، ما الفرق بين سني وشيعي؟ أليس الدين واحدًا؟ والدم واحدًا؟ حتى وصلت نسبة الشيعة في العاصمة نهاية المطاف إلى قريب من (٤٠%)!!!

هذا بالمقياس الكمي.

أما بالمقياس النوعي:

فبغداد تحولت إلى مدينة شيعية، فيها طائفة سنية مغلوبة على أمرها؛ ذبح أهلها أمام الكاميرات والفضائيات؛ دون أن يغيثهم أحد.

المضحك المبكي أن سكينة الذبح تجز من رؤوسهم في كل يوم مئة، أو مئتين، وأكثر، وأقل.

وتجتث عوائل بكاملها، وتهدم بيوت ومساجد؛ حتى لم يعد سني يستجرئ على أن يراجع مستشفى حكومي؛ وإلا كان مصيره الذبح!

ومع هذا؛ تتعالى أصوات -من هنا وهناك- أنه لا فرق بين الشيعي الجلاد؛ الذي يجزر في وضح النهار، وبين السني الضحية؛ التي تنحر ولا من دمعة يسكب عليها!!

وأما البصرة؛ فقد زادت نسبة الشيعة فيها حتى تجاوزت الـ (٦٠%)! أحد أقضيتها مدينة الزبير على الحدود مع الكويت الشقيق؛ التي كانت إلى سنة (١٩٧٠) سنية صافية بنسبة (١٠٠%)، زرتها سنة (١٩٩٧)، فوجدت أهلها يتحدثون عن أن نسبة الشيعة فيها تجاوزت الثلث!

ولا أدري إلى أين وصلت الآن؟

سوى أن أهل السنة في البصرة تعرضوا بعد الاحتلال إلى موجة اجتثاث كادت تأتي عليهم، وسط صمت العالم من حولهم، وتحت شعار (إخوان سنة وشيعة، وهذا الوطن ما نبيعه)، نعم! لأن المباع لا يباع مرتين!!

هذا -كله- جرى، ووقع، وصار حقيقة ماثلة تحت ظل الدولة الوطنية، وأمام عيون مسؤوليها السنة؛ الذين لم يترك لهم العقد الوطني وشعاراته من وصف السنة، والشعور بالذات إلا انتماء ظاهري مهين؛ لا يكاد يعبر عن نفسه أو يبين!

۞ التزام بالعقد من طرف واحد:

لقد حافظ حكام الدولة على مستحقات العقد الوطني؛ الذي جرى التصالح عليه أساسًا للعلاقة التي تربط مكونات الشعب ببعضها.

ولم يكن هناك أي قانون أو تشريع يميز طائفة على أخرى، وكان مسؤولو الدولة -التي أدركناها- يتطيرون من أي إشارة إلى أن هذا من طائفة كذا، وهذا من طائفة كذا، ويرددون -دائمًا-: شعبنا واحد، لا فرق بين عراقي وعراقي.

ومن تكلم؛ فجرى على لسانه في حضرة مسؤول كلمة: «شيعي» أو «سني»؛ قوبل بالاعتراض والاستهجان، هذا واقع عشناه ولمسناه.

وإذا تجرأ أحدنا وحاول أن يشخص بعض الظواهر التي لا يمكن فصل نسبتها عن الطائفة الأخرى؛ فلا يمكنه أن يتحدث عنها إلا تحت عناوين أخرى مثل: «الشعوبية»، وما شابهها.

بينما في الجانب الآخر؛ كانت القيادات الشيعية:

السياسية، والدينية، وغيرها؛ في الوقت الذي ترفع شعار: «الوطن والمواطنة»، لا تتعامل معه إلا على اعتباره ستارًا تنفذ تحت ظله ومن خلاله أهدافًا طائفية بحتة، وتستغل كل فرصة للتمدد، والتغيير، ومحاصرة، وتهميش أهل السنة.

لم يلتزم بالعقد الوطني حقيقةً وجديًّا إلا من جانب واحد هو الجانب السني الذي تغلبت عليه العلمانية؛ بحيث قضت على أي شعور أو إحساس بالذات، وكان المسؤول السني يعمل للجميع.

أما الجانب الشيعي؛ فلم يلتزم بشروط العقد، كان الإحساس الحاد بالذات، والشعور بالمظلومية والأقلوية يمنعه من ذلك! ويدفعه -في الوقت نفسه- للعمل بكل ما أوتي من قوة من أجل الطائفة!

فكان المسؤول الشيعي يعمل لطائفته، والذي يعترض يتهم بالطائفية من الجميع.

ولقد استشرى هذا الخلل في المجتمع العراقي حتى وصل بنا الحال إلى المعادلة الظالمة التالية -التي عشناها ولمسناها في السنين الأخيرة لدولة البعث المحسوبة على أهل السنة-:

الشيعي يصير مسؤولًا؛ ليخدم الشيعة.

والسني يخدم الشيعة؛ ليصير مسؤولًا!!!

وهكذا فقدنا بغداد، والبصرة، ومناطق عديدة أخرى.

❁ نحن في مرحلة الحرب الناعمة:

إن هذا التغير الديمغرافي الذي تم لصالح الشيعة في ظل الدولة الوطنية هو الذي جعلهم يشعرون بالقوة بعد الاحتلال، ويعتقدون أن البقية الباقية من أهل السنة يمكن القضاء عليها بواسطة الذبح، والتهميش، والتهجير.

فشنوا حملتهم المعروفة؛ حتى كادوا يصلون بها إلى هذا الهدف الخطير، لكنهم بعد خمس سنين توصلوا إلى أن أهل السنة قوم أولو بأس شديد، وذوو عنفوان وشدة ومراس، يستعصون به على الذوبان، ولا يمكن قهرهم بالقوة!

فصاروا يغيرون من أسلوبهم؛ ليتحولوا إلى اتباع أسلوب آخر أخطر على المدى البعيد، يمكن تسميته بأسلوب (الحرب الناعمة).

خطورة هذا الأسلوب تكمن في أن أهل السنة -كعرب- تغلب عليهم الطبيعة والأريحية العربية؛ من الصعب أن تنتزع منهم شيئًا عن طريق التحدي، والمحاولة المكشوفة!

لكن المشكلة أنك تستطيع أن تسلب ماء عيونهم بكلمة!!

هذا ما اكتشفته القيادات الشيعية بعد خمس سنين من الفشل المتكرر والخسائر الجسيمة.

أيها القوم!

إننا في مرحلة الكلمة السالبة، وهي أخطر أسلوب يتهدد كياننا.

إنها الحرب الناعمة التي يخوضها الشيعي بكل قواه، في الوقت الذي ينام فيها السني على ظهره مسلمًا إياه!

فماذا تتوقعون النتيجة أن تكون؟

لا في ثمانين السنة القادمة، بل في ما هو دون ذلك بكثير!

فالشيعة في ظل الحكومة الوطنية (السنية) انتزعوا منا بغداد والبصرة، فماذا سينتزعون منا في ظل حكومتهم الشيعية القائمة؛ والتي حتى لو افترضنا أن حكومات **(سنية)** ستتولى الوزارة مستقبلًا، فإنها لن تعمل شيئًا لأسباب منها:

تمدد التشيع وتغلغله في كل شرايين الدولة؛ بحيث أن المسؤول سيكون محاطًا بكادر من المرؤوسين الشيعة يقيدونه، ولا يدعونه يصل حتى إلى أهدافه المرسومة طبقًا للعقد الوطني.

لقد بدأت بوادر هذه المرحلة الخطرة في الظهور، والذي يعرف ما يجري اليوم في سامراء يدرك ما أقول، بل الفلوجة نفسها -اليوم- ومناطق عديدة من الأنبار تتعرض إلى حرب شيعية ناعمة، إذا استمرت السنين العشر القادمة دون تصدٍّ أو علاج، فإن خطرًا كبيرًا يتهدد أهل السنة في العراق.

وما يحدث في السعودية من تمدد شيعي يتوسع باستمرار شاهد آخر لما أقول.

ستشهد المرحلة القادمة في العراق تواضعًا وطنيًّا بين السنة والشيعة؛ يكسب فيه أهل السنة سياسيًّا، ويحققون خطوات متقدمة في هذا المجال.

وربما وصلوا إلى رئاسة الوزارة، ما يعطي سياسيي السنة انطباعًا وشعورًا متضخمًا بأن الشيعة يمكن التفاهم معهم، وأن المواطنة أساس مشترك جيد للتعايش بين الطرفين.

كل هذا -وما هو أكثر- ممكن، ووارد، لكن نقطة الخطر غير المحسوسة، أو التي سيغضون الطرف عنها من أجل هذه المكاسب هي: أن التشيع الطائفي سيظل يكسب تحت هذه المظلة مواقع متقدمة باستمرار.

وهي خطيرة جدًّا هذه المرة؛ لأنها ستتجاوز العاصمة بغداد إلى قلب المناطق السنية في غرب وشمال العراق.

لا تنظروا إلى التشيع السياسي وشعاراته الوطنية؛ فقد يكون ناعمًا، ويبدو متساهلًا ومتفاهمًا، ولكن انظروا إلى داخله، وما يحمله في باطنه من جنين التشيع الطائفي؛ الذي ينمو في ظله، وتحت جناحه، ولا يرى ولا يخرج إلى العلن حتى يكون شابًّا مفتول العضل، بيده سكين؛ لا تبقي ولا تذر!

وهنا مكمن الخطورة القاتلة، كما سبق له أن ولد هذه الولادة المشؤومة يوم احتلت بغداد، فإذا بالتشيع السياسي ينفرج عن هذا المولود الخبيث بكامل قوته وعدته وعتاده، وقصته معلومة للجميع.

فلا تدعوها تتكرر مرة أخرى!... وسنن الكون لا ترحم المغفلين!!... والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين.

لا مفر لنا -إذن- من أحد أمرين:

إما أن يكون الالتزام بشروط العقد الوطني واقعًا من الطرفين.

وإما أن نقابل الطرف الآخر بالمثل؛ فنقوي كياننا كأهل سنة، كما هم يقوون كيانهم كشيعة، حتى لا تكون معركة الشيعة القادمة معنا في قلب الفلوجة والأنبار، وحتى لا يكون مصير أولادنا وجيلنا القادم الذبح بطريقة أشد وأبشع مما ذبحنا!

فإن العمل جارٍ على قدم وساق؛ لنذبح في السنين القادمة على هذا الأساس.

«الخلاف السني الشيعي» برؤية رشيد رضا

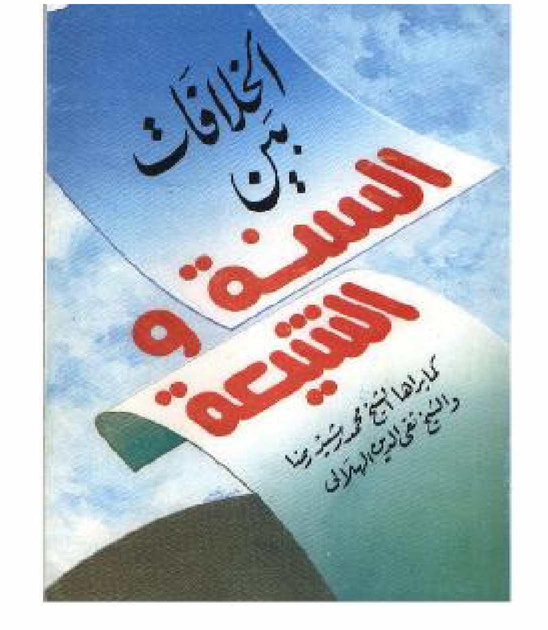
محمد العواودة

من الممكن تحديد الظروف التاريخية؛ التي أنتجت -عمليًّا- كتاب «الخلافات بين السنة والشيعة» لمحمد رشيد رضا، بالفترة التي حكم فيها الملك عبد العزيز آل سعود الدولة السعودية، كأول دولة سنية بعد انهيار الخلافة العثمانية، وبالتزامن مع ظهور تيارين معارضين لقيامها هما: التيار العلماني، والتيار الشيعي الرافضي.

أما السبب المباشر لتأليف الكتاب، فهو: نشر مجلة «العرفان» اللبنانية مجموعة من المقالات؛ التي حاولت فيها التفريق بين المسلمين السنة والدعوة الوهابية، وصورت الدعوة الوهابية بما لا يتفق مع الإسلام وعقائده.

وكذلك تأليف المرجع الشيعي اللبناني محسن الأمين العاملي رسالة سماها: «الحصون المنيعة في الرد على ما أورده صاحب «المنار» في حق الشيعة»، وهي رد على مقال نشره رشيد رضا للرحالة محمد كامل الرفاعي البغدادي، رصد فيه بعض محاولات علماء الشيعة بث التشيع بين بدو العرب عن طريق إغرائهم بنكاح المتعة.

ومع أن رشيد رضا دائم التأكيد على تمسكه بمشروعه الإصلاحي في ما يقول ويكتب، وهو ما يقوم أصلًا على محاربة التعصب المذهبي، الأمر الذي لم يدفعه للرد على مجلة «العرفان»، ورسالة العاملي في البداية، إلا أنه رأى في الكتاب الثاني للعاملي «الرد على الوهابية»؛ الذي ملأه بالأباطيل على أهل السنة، وانتصر فيه للثقافة القبورية، وهاجم فيه دولة آل سعود السنية الفتية؛ أمرًا يجب التنبيه عليه من صاحب «المنار»؛ سيما أنه رأى أن كتابات العاملي ستلحق ضررًا كبيرًا بعقائد المسلمين؛ إذا تم السكوت عليها.



مما نبه عليه رشيد رضا في هذا الكتاب: ما ذكره العاملي في احتجاجه بقضية جواز نكاح المتعة، مستدلًا في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء:٢٤]، فزعم العاملي أن لفظ: «أجور» لا يصح أن تكون بمعنى «المهور»، لأن القرآن سمى المهور: «صدُقات»، فيجد رضا أن هذا الاستدلال يدل دلالة قطعية على أن العاملي الرافضي جاهل بالقرآن، ومحرف له! لأن في ذلك بيان واضح من الله -تعالى- في أن الأجر هو: المهر، تؤكده آيات أخرى من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا

آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[الممتحنة: ١٠]، فلفظا (النكاح، والاستمتاع) أريد بهما: دفع المهور، وليس أجرة الاستمتاع؛ كما وهم، أو حرف العاملي!

ومن القضايا التي نبه عليها رضا: زعم العاملي في كتابيه أن أصل الخلاف بين السنة والشيعة، هو: خلاف على حب آل البيت وموالاتهم، بعد أن أطال العاملي في وصف عداوة معاوية والأمويين لآل البيت، مرورًا بالعباسيين في مرحلتهم الأولى، وانتهاء بدولة آل سعود السنية؛ التي تتفق معهم على عدم محبة آل البيت وموالاتهم.

۞ ويفند رضا هذه الدعوة برد أصل الخلاف بين السنة والشيعة إلى الحقائق التالية:

أولًا: زعم رافضة الشيعة -ومن بينهم العاملي- أن مابين دفتي القرآن ليس كله كلام الله، لأن أصحاب النبي ﷺ قد حذفوا من القرآن بعض الآيات؛ سيما السورة التي تثبت ولاية علي.

أما القران الصحيح -الذي يتضمن هذه الآيات-؛ فقد كتبه علي، وتناقله الأئمة؛ حتى اختفى مع الإمام المهدي في سرداب سامراء؛ حيث يظهره للناس بعد خروجه، **وهذا ما يؤكد رضا** أن ما ليس له أصل في كتب الأحاديث المروية عن أهل السنة والجماعة، وأنه من جملة أخبارهم وأكاذيبهم.

ثانيًا: يعرّف العاملي ورافضة الشيعة، أن السنة هي: قول المعصوم، أو فعله، أو تقريره، **وهو ما يراه رضا** ما يتفق مع قول أهل السنة والجماعة في حق رسول الله ﷺ فقط، وليس لأحد من دونه؛ مما لا عصمة له، بعكس الشيعة الذين يثبتون العصمة في حق أئمتهم.

ثالثًا: من أصول الدين المهمة عند الشيعة: مسألة الإمامة العظمى، وثبوتها بالنص، مستدلين بقصة «غدير خم»؛ حيث يزعم الرافضة أن أبا بكر وعمر استلبا الخلافة من علي؛ الذي اضطر إلى مبايعتهم تقية، **وهذا ما يراه رضا** قدحًا في علي، كما هو قدح في أبي بكر وعمر، وعلى هذا؛ يصنف العاملي ورافضته أصحاب النبي مدحًا أو ذمًّا؛ على موقفهم من بيعة علي، وأحقيته في الخلافة الواردة في النص.

وبناء على هذه النظرية العصبية؛ يكشف رضا عن موقف الرافضة من الدولة السعودية السنية، تعصبًا لمذهبهم ضد مذهب السنة؛ الذي يقيمه ابن سعود، والطعن به وبقومه؛ الذين يلقبهم الشيعة بالوهابية، في محاولة لعزلهم عن إطارهم الإسلامي السني.

وحيث اكتفى رضا بهذه التنبيهات؛ فقد ترك المجال واسعًا لعلامة العراق محمود شكري الآلوسي للرد التفصيلي على العاملي، الذي بدأه بمقاربة بين الرافضة واليهود؛ على ما يجمعهم من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه، ذلك لأن العترة تقال بإجماع اللغة لأقارب الرجل، والرافضة ينكرون نسب بعض العترة؛ كرقية، وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، ولا يعتبرون بعضهم داخلًا فيها؛ كالعباس عم النبي عليه السلام، والزبير بن صفية عمة رسول الله عليه السلام، بل ويبغضون كثيرًا من أبناء فاطمة رضي الله عنها ويسبونهم؛ كزيد بن علي بن الحسين، ويحيى ابنه، وإبراهيم وجعفر ابني موسى الكاظم، وكذلك جعفر بن علي أخ الإمام الحسن العسكري.

كما ويعتقدون: أن الحسن بن الحسن المثنى وابنه عبد الله وابنه محمد الملقب بالنفس الزكية ارتدوا عن دين الله.

أما الكتب الأربعة الصحيحة عند الروافض؛ التي يحتج بها العاملي في افتراءاته على أهل السنة، وهي:

«الكافي»، و«فقه من لا يحضره الفقيه»، و«التهذيب»، و«الاستبصار»؛ التي يرى العاملي أن العمل بها واجب، فيثبت الالوسي أنها أخبار آحاد، صاغها الكذابون والوضاعون، وليس أكذب منها إلا الرقع التي يدعون إنها صادرة من المهدي المنتظر؛ حيث كان يضع الأجوبة لأصحاب الرقاع في ثقوب الشجر؛ كذبًا وزورًا على الناس.

وليس أضل من ذلك إلا قراءة القصص المكذوبة، وأكل النذور، وسب الصحابة في مجالس اللطم، حتى نفقت خزعبلاتهم على عوام الأعراب؛ لنيل شهواتهم، والتوصل إلى مقاصدهم من جمع النذور، وأخذ الخمس، وعصيان الحكومات.

وليس أثبت على ضلالهم إلا ما يسمونه: «المتعة الدورية»، وهي: أن يتمتع جماعة منهم بامرأة واحدة طيلة النهار والليل.

خصص الالوسي جزءًا كبيرًا من الكتاب في الرد على طعون العاملي في الوهابية وابن تيمية في مسألة الصفات التي يتهمهم فيها بالتجسيم، وتفريق المسلمين؛ حيث يثبت الآلوسي كذب هذه الدعوى، لأن ابن تيمية والوهابية لم يأتوا أصلًا إلا بما أتى به الصحابة والسلف الصالح؛ من إثبات معاني الصفات، وتفويض كيفيتها إلى الله، مع تنزيهه -تبارك وتعالى- عن مشابهة المخلوقات، طبقًا للقاعدة القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، أما المتأولون فيها من أهل السنة؛ إنما تأولوا ذلك للرد على مبتدعة علم الكلام والفلاسفة، فقاربوا وسددوا بين النصوص، والتأويل الجامع للعقل والنقل؛ تنزيها لله -تعالى-، وهو ما لا يمت لتحريفات وتأويلات الرافضة بصلة!

أما ما احتج به العاملي من طعون على ابن تيمية -فيما نقله عن ابن حجر الهيتمي-؛ فيستغرب الآلوسي أن ينقل العاملي هذا عن الهيتمي ويأخذ به، في الوقت ذاته الذي لم ينقل، أو يقبل فيه طعون الهيتمي في بدع الشيعة وضلالاتهم!

إلا أن الالوسي يرد ما ذهب إليه الهيتمي في ابن تيمية إلى ما شاع عند الهيتمي؛ نقلًا عن خصوم ابن تيمية، ومتأولة الاشاعرة، ومغروري الصوفية، وعدم اطلاع الهيتمي على كتب ابن تيمية.

وفي سبيل دفع التشويش الذي قام به الشيعة على ابن تيمية؛ يخصص رشيد رضا بابًا في الكتاب لترجمة ابن تيمية، مستندًا في ذلك على تاريخ «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني، قبل أن ينهي الكتاب بمناظرة مفيدة بين الشيخ تقي الدين الهلالي مع أحد مراجع الشيعة في العراق.

يخلص القارئ لكتاب «الخلافات بين السنة والشيعة» إلى أن العقيدة الرافضية تتكئ اتكاءً كبيرًا على فكرة المادية النفعية؛ التي حاربها القرآن، ذلك من خلال صياغة أحبارهم لنظريات وضعية؛ **تكرس الجهل العام، والثقافة القبورية والخرافية، واستفزاز الغرائز والشهوات البشرية، منتهين إلى اكبر قدر من الحصاد المادي باسم محبة آل البيت!!**

بناء على هذا البون العقدي الواسع بين السنة والشيعة، يأتي هذا الكتاب بمثابة إعلان يأس رشيد رضا في التوصل إلى أي مقاربة مع الرافضة ضمن مشروعه الإصلاحي، بل ويعلن القطيعة معهم، بعد أن خاض تجربته المريرة مع علمائهم؛ الذين بادروه التقية في مسألة الوحدة الإسلامية بعد انهيار الخلافة العثمانية، ولكن سرعان ما تعصبوا لضلالاتهم، وكشفوا عن الوجه العدائي الحقيقي لأهل السنة؛ بعد قيام أول حاضنة عقدية لهم في دولة آل سعود.



إيران فوضوها شئون آسيا!

قالوا: «لا ننسى أن الفرس أمة كبيرة، ولا يمكننا حل شيء في الخليج الفارسي وآسيا الوسطى بتجاهلهم».

«وزير الخارجية الفرنسي بيرنار كوشنير»
«صحيفة القدس العربي» (١٠/٣/٢٠٠٩)

قلنا: من أعطى المسؤول الفرنسي الحق في أن يفوض إيران شؤون هذه المنطقة؟
أم أن الأوروبيين والإيرانيين اقتسموها فيما بينهم؟

سامبي يحتاج إلى من يذكّره

قالوا: «إن نجاحات الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعتبر نموذجًا ومصدر فخر للشعوب المستضعفة».

«رئيس جمهورية جزر القمر أحمد عبد الله سامبي». «وكالة مهر للأنباء» (٢٥/٢/٢٠٠٩)

قلنا: ما دام رئيس جزر القمر متشيعًا؛ فلا بد أن يكيل المديح لإيران!
لكن كيف تكون إيران مصدر فخر للشعوب المستضعفة -كما يزعم سامبي- وهي تستضعف شعبها في الأحواز، وكردستان، وبلوشستان، وتتآمر على المسلمين السنة المستضعفين في العراق، وأفغانستان، والشيشان، وغيرها؟!

حاميها حراميها

قالوا: «أعلنت وزارة الداخلية العراقية:
أن مجموعة تنتمي إلى الشرطة نفذت مذبحة طائفية في حي الجهاد ببغداد عام (٢٠٠٦)، راح ضحيتها (١٧) من سكان هذا الحي؛ الواقع غرب بغداد في عملية قتل واحدة».

«صحيفة الزمان العراقية» (٢٥/٢/٢٠٠٩)

قلنا: إذا كانت مذبحة واحدة اقترفتها عناصر الشرطة والمغاوير الشيعة أوقعت (١٧) مسلمًا سنيًّا، فكم أوقعت مذابحهم الأخرى يا ترى من أبناء العراق والفلسطينيين الذين كانوا هناك؟!
وإذا كانت الداخلية كشفت عن خلية واحدة، فكم سنحتاج من وقت للكشف عن الخلايا والعصابات الأخرى؟!

السنة في ايران لا بواكي لهم

قالوا: «اعدم اثنين من السنة في زاهدان (مركز محافظة سيستان وبلوشستان) يوم الثلاثاء (٣/٣/٢٠٠٩) بحجة الإنتماء الى جماعة جند الله البلوشية».

«وكالة مهر للأنباء» بتصرف (٤/٣/٢٠٠٩)

قلنا: لا يحتاج الشيعة في إيران إلى تهم كي يقوموا بإعدام أهل السنة، ما دام مذهبهم يعتبر السني أكفر من اليهود والنصارى!!

مبروك الإفراج!

قـالوا: «نظمـت جمعيـة المشـاريع الخيريـة الإسـلامية (الأحباش) احتفالًا خطابيًّا؛ لمناسبة اخلاء سبيل الأخوين الشيخ محمود وأحمد عبد العال؛ اللذين كانا موقوفين في جريمة اغتيال الرئيس رفيق الحريري، في مقرها في برج أبي حيدر في بيروت.

وكان وفد من حزب الله...، زار مقر جمعية المشاريع مهنئاً بتخلية الأخوين عبد العال».

«صحيفة الحياة» (٢٧/٠٢/٢٠٠٩)

قلنـا: مـا دام حـزب الله الشـيعي اللبنـاني والأحبـاش يجمعهما الولاء لسوريا وكراهية أهل السنة، فلا غرابة أن يحتفلا سويًّا بالإفراج عمّن تآمر لاغتيال الحريري!

وأين باقي العقلاء؟

قالوا: «بلغت كراهية ايران للعرب حدًّا جعلها تحرّض العـرب عـلى العـرب، وتفسـد بـين أبنـاء الأمـة العربيـة، وتحرض الفلسطينيين على بعضهم من أجل اثارة الفتنة والبلبلة بين الأخوة؛ لتحقيق أغراضها المشبوهة، وخير شاهد على ذلك ما حدث في العراق، وما يحدث في لبنان وفلسطين».

«محمد علي الجوزو -مفتي جبل لبنان-»
«الراي الكويتية» (١٥ مارس ٢٠٠٩)

قلنـا: متى يصرح بقية عقلاء الشيعة بما قاله المفتي الجوزو؟ وأين المخدوعون من السنة ليراجعوا أنفسهم؟!

همة في الكفر!

قـالوا: بـدأت الاسـتعانة بخـدمات المهـاجرين غـير الشرعيـين (مـن إفريقيـا جنـوب الصـحراء) في توزيـع منشـورات تـدعو المغاربـة للتـنصر، واتّبـاع الديانـة المسيحية؛ لتنصير (١٠ بالمائة) من المغاربة بحلول العام (٢٠٢٠م).

«صحيفة هسبريس» (١٣/٣/٢٠٠٩)

قلنا: لماذا أصبح المغرب نهبًا لكل الأفكار الهدامة والباطلـة: تنصـير.. وتشـيع.. وعبـدة شـياطين.. وإلحـاد وعلمانية.. ويسارية؟!

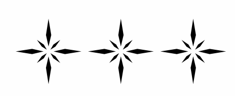
متى نصحو على ما يجرى لأبنائنا؟

قـالوا: تقـدم ثلاثـة أشـخاص تزيـد أعمارهـم عـن العشرين عامًا إلى مديرية تنمية عمان الغربية بالأردن، بطلب إنشاء جمعية متخصصة بحقوق المثليين، تهدف إلى «جمـع المثليـين، وتقـديم المحـاضرات الطبيـة والإرشادية».

وقـالوا: إنهم أجروا اتصالات مع منظمات عالمية تعنى بمثل هذه الفئات؛ أعربت عن استعدادها لتقديم كل أشكال الدعم المعنوي والمادي، ملمحين إلى أنهم قد يلجأون إلى هذه المنظمات الخارجية للضغط، بهدف الحصول على الترخيص اللازم لجمعيتهم.

«صحيفة السبيل» (١٨/٣/٢٠٠٩)

قلنا: هذه ثمار مسيرة الإباحية والغزو الفكري الذي تعـرض لـه أبنائنـا عـبر سـنوات طويلـة، ولم نقـدم لهـم الحصانة والمناعة المطلوبة من هذه الجرائيم.





الإيمو.. وجحر الضبُّ

سحر المصري «المصريون» (١٥ / ٣ /٢٠٠٩)

البانكيز.. عبّاد الشيطان.. الإيمو.. عناوين كبيرة لصرعات يتّخِذها الشباب والمراهقون قِبلَة في حياتِهم؛ حين تفرغ من أي قيمة دينيّة وأخلاقيّة، ويسيطر عليها الجهل، واليأس، والهوى.

وقد يكون بعضها أخطر من بعض! ولكنها نذير شؤمٍ على الأمّة، فماذا يُرتَجَى من أُمّةٍ ارتكس شبابها في أحضان الضياع، والقنوط، والاستتار؛ في جحور الضبّ.. رغبة بما عند المفلسين؟!

يقول الرسول ﷺ: «**لتتبعنّ سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه**»، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**».

والإيمو -هذه الوافدة من بلاد الغرب- انتشرت في الآونة الأخيرة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية خليجية وشامية -لا سيّما مصر، ولبنان- بشكل كبير، وكثُر اللغط حولها، فمنهم مَن يجمِّلها، ويعتبرها مجرد نمط حياة، ومنهم مَن يُنزِلها منزلةً دنيا، ويتوجّس خوفًا من شرّها، ويتّهمها بالإلحاد والشذوذ الجنسي، وبأنها وليدة لجماعة عبّاد الشيطان.

ولِمَن لَم يسمع بهذه الظاهرة؛ فالإيمو -كما يُروى- هي: مجموعة من المراهقين الذين يستعيضون بالألم الجسدي على الألم النفسي، فيُشرِطون أيديهم -مثلًا- ليتألموا جسديًّا، ويغلب هذا الوجع ألمهم النفسي!

وعندهم نزعة إلى الانتحار نتيجة تضخيمهم للمشاكل، وعيشهم مع ذكرياتهم الأليمة، وحساسيّتهم المُفرطة.

ويتميّزون بدوام الحزن والإحباط والاكتئاب والخجل والتشاؤم والصمت والسلبية تجاه الحياة والعزلة؛ إلا عن أقرانهم الإيمو.

ويميلون إلى الكآبة والبكاء أمام الآخرين، وينتحبون على الحب غير المتبادل، ويكتبون الأشعار الحزينة، ويشكون النبذ في مجتمعاتهم.

كما يؤمن الإيمو أنهم سيذهبون بعد الموت إلى (The Black Parade)، أو «العرض الأسود»، وهو عنوان ألبوم موسيقي صدر في عام (٢٠٠٦)، واحتل المرتبة الأولى لفرقة «كيميكال رومانس»؛ والتي كانت تدعو إلى طقوس «الإنتحار عبادة»!

أما من حيث المظهر؛ فلهم قصّات شعر خاصة تنسدل إلى الأمام، وتُخفي جزءًا كبيرًا من الوجه، وثيابهم تتّسم بألوان خاصة؛ كالأسود، والزهري، وصور الجماجم منتشرة عليها، ويضعون «الحلق» في مختلف أجزاء الجسد، ويُكثِرون من الكحل الأسود حول أعينهم بشكل مخيف، ويعتبرون أنهم يعبِّرون بطريقة لبسهم وطقوسهم عن المشاعر الحزينة التي تجتاحهم، ولا يخجلون من منظرهم أو طريقتهم في الحياة؛ لأنها

انعكاس عن عواطفهم الداخلية.

وبمجـرد انـتماء الشـخص للإيمـو؛ فإنه يتغيّر كليًّا؛ ابتداءًا من طريقة لبسه، وانتهاءًا بالإنطواء على نفسه؛ مهما كان حيويًّا قبل ذلك!

وكلمـة الإيمـو مشـتقة مـن الكلمـة الإنكليزيـة (Emotion)، ومعناها: العاطفة، أو الانفعال، وبدأت كتيار موسيقي في الولايات المتحدة في الثمانينات للهارد روك والبلاك ميتال؛ لتصبح في أيامنا نمط حياة! وتتميز هـذه الموسـيقى بالصـخب، والحـزن، والـدعوة إلى الانتحار!

قـد يبـدأ الشـاب -أو الفتـاة- بالانجـذاب لهـذه الجماعـة بسبب «اللوك»، أو وجود قواسم مشتركة بينه وبين أحد عناصرها؛ كالحزن، والاكتئاب، فيعتقد أنه وجد من يتفهّمه؛ حتى إذا ما دخل معهم انجرف إلى مستويات أشد خطورة؛ ما قد يؤدّي في النهاية إلى قتل النفس!!

وقـد انـتشرت -الآن- مجموعـات الإيمـو في الفايسبوك لاصطياد أكبر عدد من الشباب الهائم، أو الساذج، أو المحروم!

يقول بعض «إيمو» العرب: إنهم مختلفون عن إيمو الغرب، ولكن هذا الأمر ليس دقيقًا تمامًا، لأنهم كما يقرّون هم أنفسهم أن الإيمو هي طريقة معيشة وتفكير، وليس مجرد مظهر!

وإن كـانوا مختلفـين؛ فلِم اقتبسوا اسمهم؟ ولِمَ يروِّجون لأفكارهم وطريقة عيشهم بالتفاصيل المملّة؟! ولِم التزموا أساليبهم من الأساس؟ وما يُدريهم أنّهم حين يتوغّلون في معاقرة صفاتهم وأدواتهم وطرق حياتهم، وحين يستولي عليهم الاكتئاب والحزن لن يصلوا إلى أكثر مما وصل إليه إيمو الغرب؟

أوليسـت الـنفس البشريـة واحـدة حين تتجرّد من الايمان والإحساس بالمسؤولية؟ أوليس الشيطان والهوى واحد؟ أوليس الألم والاكتئاب واحد؟!

ولـئن سـلِم بعـض إيمـو العـرب من الانتحار والأمراض النفسية؛ فهل سينجو الجميع؟! إن بمجرد استساغتهم لهذه الظاهرة؛ فقد دق ناقوس الخطر، ووجَب الحذر!

ممـا لا شـك فيـه أنّ دوافع الشباب -وخاصة المراهقين- للانتساب إلى هذه المجموعات هو: **الفراغ -بأنواعه- بالدرجة الأولى**: الفراغ الروحي والإيماني، وفراغ الوقت، والبُعد عن الله -جلّ وعلا-، فلا يمكن أن يكون في قلب إنسان ذرّة من إيمان ثم يلتجئ إلى هذه الفِرَق! فالإيمان يزرع الأمل في النفوس والطمأنينة والسكينة، والارتباط بالله -جل وعلا- يورِث الراحة فيما كان وما هو آت؛ حتى عند الابتلاءات والمصائب والحرمان، فإن المؤمن يعلم أن كل أمره خير، ويرضى، ويشكر، ويدعو!

كما أنّ من أسباب الاندفاع وراء هذه الظواهر هو: الفقر، وتجارب الفشل في الدراسة أو العمل أو الحياة الاجتماعية، والتفكك الأسري، والتخبّط النفسي، والغزو الفكري، وحب التقليد الأعمى، وافتقاد الهوية والهدف، والهزيمة النفسية؛ ما يولِّد الانجرار وراء كل ما هو غربي.

وقد يكون السبب هو: مجرد إثبات الذات، ولفت الانتباه، والظهور بشكل مختلف؛ ليصرخ المراهق «إني هنا»!

أن تـرى في الغـرب مثـل هـذه الظـواهر فشيءٌ طبيعي؛ لأنه مجتمع مادي غير مترابط، ويفتقر إلى القِيَم الدينية والروحية والأخلاقية والأُسريّة، ما يجعل المرء يهيم على عواهنه دون حسيب أو رقيب، أما في مجتمعاتنا الشرقية والإسلامية -بالتحديد-؛ فهذا أمر يدعو إلى

الذعر حقيقة!!

وحتى لا يكون -دائمًا- الغرب هو الشمّاعة التي نعلّق عليها هزائمنا ومصائبنا؛ فحريٌ بنا أن نفتّش عن ثغراتنا وتقصيرنا، وأن نضع الإصبع على الجرح لمداواته، فنحن -كأهل- مقصِّرون تجاه أبنائنا.

فهل كان منّا الاحتواء، والاحتضان، والمتابعة والتوجيه بالحُسنى؟

هل فتحنا قنوات الحوار معهم -منذ الصِغَر-؛ لندلهّم على الله -جل وعلا- بالدرجة الأولى، ثم على الحلال والحرام، وجعلنا الحبيب عليه الصلاة والسلام قدوتهم، وثبّتنا في قلوبهم مفاهيم الابتلاء، والهدف من وجودهم على الأرض أصلًا؟!

هل كنا إلى جانبهم لحل مشاكلهم، وتبصيرهم بالخير والشر، وتأصيل بوصلتهم الإيمانية والأخلاقية؟

أم تركناهم للخادمة، وصحبة السوء والانترنت والفضائيات؛ دون تواجد فعّال في حياتهم؟!

ونحن -كدعاة- هل لاحقنا الشباب، وأحسنّا الخِطاب معهم، وأشعرناهم أنهم القيمة الحقيقيّة في الأمّة، وبسّطنا لهم سبل الهداية، وأشغلناهم بالخير كي؛ لا تشغلهم نفوسهم بالشر؟!

وهل أمّنا لهم القدوة الصالحة؛ التي تجذب للدين ولا تنفِّر منه؟

وهل قمنا بحملات للتوعية من هؤلاء ولهؤلاء؟!

وحين وصل بنا الأمر لوجود مثل الإيمو في مجتمعاتنا؛ فهل سعينا لإرشادهم، وهدايتهم، وتعريفهم بالعقل والعاطفة ما هم سائرون إليه، ومحاولة انتشالهم من الضياع والفساد الذين ينغمسون فيه؟!

وكحركات إسلاميّة وشبابيّة واعية؛ هل نظّمنا الدورات الجذّابة لتوعية الشباب، وإعانتهم على تحديد الأهداف، وتنمية القدرات، وقيادة الذات، وتقدير العقل والوقت؟!

المسؤولية مشتركة بين الجميع: أهل، وعلماء، ومدارس، وحكومات، وإعلام وجمعيات؛ لنصل بشبابنا إلى برٍّ آمِنٍ يحميهم من أنفسهم قبل غيرها.

وهمسة أخيرة في آذان البعض ممّن يستسيغ الترويج الإعلامي للإسلام فوبيًا؛ فلا يترك مناسبة إلا ويحذِّر من الإسلاميين؛ وحتى مجرد الالتزام بالفرائض التي شرعها الله -جل وعلا- بحجّة الخوف من التطرف والإرهاب، فلهؤلاء أقول:

اتّقوا الله في أولادكم وشبابنا.. فإنّكم «بخوفكم» هذا إنّما تُلقون بالشباب في أحضان الرذائل، وتجعلونهم فريسة سهلة لمثل هذه الظواهر التي نتحدث عنها!

أفيرضيك أن يكون ابنك -أو قريبك- فارغ الروح، هائم النفس؛ تتلقفه أيدي الشيطان من كل جانب، على أن يكون عبدًا طائعًا لله -جل وعلا-، ملتزمًا منهجه القويم؟!

كفّوا -بربّكم- ألسنتكم عن الخوض فيما يضر ولا ينفع، واتركوا شبابنا يتّبع نداء الفِطرة؛ ليصبح نبراس هداية، لا شيطانًا يمشي على الأرض! وليمهِّد في هذه الحياة الطريق إلى الجنّة لا إلى (The Black Parade)!

التعامل العربي مع التدخلات الايرانية

رضوان السيد «صحيفة الحياة» (٢٠٠٩/٣/١٠)

دعا وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل في مجلس وزراء خارجية الدول العربية الى اتخاذ موقف عربي مشترك تجاه التحدي الايراني.

وحدد جهات التحدي والخطر من جانب ايران

بالمسائل التالية: الملف النووي، وأمن الخليج، والتدخلات في العراق، ولبنان، وفلسطين.

وبعد اسبوع على ذلك: أعلن وزير الخارجية المغربي الفاسي الفهري عن قطع العلاقات الديبلوماسية مع ايران، وحدد لذلك ثلاثة أسباب: ردة الفعل الإيرانية غير الملائمة على احتجاج المغرب على التصريحات الايرانية بشأن البحرين، وتدخل ايران (وجهات عربية) في النزاع بشأن الصحراء لصالح «البوليساريو»، وعمل ايران للإضرار بالهوية الدينية الموحدة للمملكة المغربية.

وهناك فرق -بالطبع- بين الأمرين؛ فالوزير المغربي اعتبر المشكلات مع ايران «ثنائية»، بينما رأى الفيصل في تصرفات ايران في المسائل -التي ذكرها- مشكلة عربية عامة، ودعا الى مواجهتها.

بيد أن الملحوظ وجود مشترك مهم هو: التدخل الايراني في الحالين.

وإذا استعرضنا مسائل الهواجس والقلق بدقة، فإن المشتركات تتزايد؛ بحيث يتجاوز الأمر الثنائيات الى العام العربي، فالملف النووي الايراني الذي يشكو منه الأوروبيون، والأميركيون، والاسرائيليون؛ كان وما يزال مبعث قلق لدول الخليج والمشرق؛ بسبب آثاره البيئية، تضاف إلى ذلك التهديدات الايرانية بالصواريخ تارة للأميركيين، وطورًا للخليجيين.

وقد كان الايرانيون يصرون علنًا على سلمية برنامجهم النووي، دونما إبداء استعداد للتفاوض بشأن الآثار البيئية على الجوار، لكنهم في الاتصالات السرية الثنائية والشاملة كانوا يستغربون التخوف من البرنامج الايراني، والتسليم بالسلاح النووي الاسرائيلي القائم بالفعل، وكان محدثوهم العرب يجيبون بأنهم غير مسلّمين بالسلاح الإسرائيلي، وأنهم يطالبون بمنطقة خالية من سلاح الدمار الشامل، وأنهم يأملون أن تكون المسألة النووية الإسرائيلية من ضمن مسائل الحل الشامل.

ثم انقطع كل حديث -تقريبًا- خلال العامين الماضيين، إلى ان دعت السداسية المتعاملة مع الملف النووي الايراني (الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، زائدًا ألمانيا) العرب في أواخر عهد بوش الى المشاركة في اجتماع لبحث تطورات الملف، وقد استغرب بعضنا ذلك في حينه، لكن محمد البرادعي -مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية- طالب العرب في مقابلة مع جريدة «الحياة» أن لا يغيبوا بعد الآن عن اجتماعات السداسية، ليس لأن النووي الإيراني يعنيهم وحسب (باعتبار أن أي صراع به أو عليه سيتم على أرضهم وأجوائهم)، بل لأن الصفقة التي يجري التفاوض عليها مع ايران من جانب الغرب، تدخل فيها مساومات قد تكون ضمنها مبادلات تضر بالمصالح العربية.

وإلى جانب النووي ذكر الأمير سعود الفيصل: أمن الخليج؛ والذي ينبغي أن تكون فيه شراكة بين الخليجيين وايران، لكن في السنوات الأخيرة -خصوصًا بعد احتلال العراق- هناك تخاطب من فوق السطوح، وتهديدات بين إيران والولايات المتحدة، وقد تصادم الطرفان -أحيانًا- بالزوارق والسفن الحربية.

وتهدد إيران كل أسبوع -تقريبًا- بسد مضيق هرمز إذا أساءت اليها أميركا!

وقبل شهرين ذهب مفوض الأمن القومي العراقي إلى طهران ليعرض عليها اتفاقية بشأن أمن الخليج! والطريف أن إيران رحبت، لكنها عرضت توسيع الاتفاقية؛ بحيث تضم دول الخليج الواقعة على «الخليج الفارسي».

وهكـذا؛ فهنـاك تلاعـب -أيضًـا- بـأمن الخلـيج، وينبغي التنبه والحذر.

ثـم ذكـر وزيـر الخارجيـة السـعودي: التـدخلات الايرانية في العراق، ولبنان، وفلسطين، وقد أحدثت هذه التـدخلات اضـطرابات في البلـدان الـثلاث، وأحـدثت انشقاقات، أو شجعت عليها، والمعروف أنه بعد المؤتمر العـربي والـدولي لإعـمار غـزة؛ والـذي عقـد في مصر، اسـتدعت ايـران دولًا وجهـات ثوريـة عربيـة إلى طهـران لـدعم غـزة -أيضًـا-، وهنـاك لم يتحدث أحـد عـن إعـمار غزة، بل عن تحرير فلسطين، وفتح معبر رفح! ومن طهران شـحنت ايـران الوفـود الى الخرطـوم؛ لـدعم الـرئيس عمـر البشير في وجه المحكمة الجنائية الدولية.

وهكـذا؛ فهنـاك رهانـات ايرانيـة عـلى الانقسـامات العربيـة التـي أحدثتها أو غـذتها، ومـع كـل أزمـة أو مشـكلة تحضُر دولة الثورة الاسلامية للتأجيج والاستفادة.

مـا معنـى مـا قالـه وزيـر الخارجيـة المغـربي عـن أسباب قطع العلاقات مع طهران؟ ذكر الفاسي الفهري: إهانـة وزارة الخارجيـة الايرانيـة للقـائم بـالأعمال المغـربي في طهـران؛ بسـبب موقـف المغـرب مـن التصريحـات الإيرانية المتعلقة بمملكة البحرين.

وذكـر سـببًا آخـر أهـم هـو: تـدخل ايـران في ملـف «البوليسـاريو» والصـحراء الغربيـة، بمعنـى: أن الجمهوريـة الإيرانيـــة رأت أن تقـــف الى جانـــب «البوليســـاريو» في مساعيها الطويلة الأمد لفصل الصحراء عن المغرب.

ثـم ذكـر الـوزير المغـربي مسـألة ثالثـة -غريبة بعض الشيء-؛ حول تأثير التدخل الايراني على الوحدة الدينية في المملكة المغربية.

وكانـت تقـارير كثـيرة تحـدثت في الأشـهر الأخـيرة عن نشر المذهب الشيعي في المغرب والجزائر.

والمعـروف أن الشـيخ يوسـف القرضـاوي كـان قـد ذكـر في مداخلتـه قبـل أشـهر مسـألة «التشـييع» في مصر والمغرب.

ولنعـــد الى الافتراقـــات والمشـــتركات في كـــلام الـوزيرين السـعودي والمغـربي؛ هنـاك -مـثلًا- مسـألة «التشيُّع المذهبي» لـدى الـوزير المغـربي، وهي التي غابت في حـديث الـوزير السـعودي أمـام الجامعـة العربيـة، وقـد تكـون تلك المسـألة حقيقيـة، وهـي تسـهم في خلـق أقليات دينيـة تصـبح مشـكلة مـع الوقـت في مجتمعـات موحـدة الهويـة لهذه الناحيـة، بيد أن الـذي أراه الأخطـر هـو: التدخل السياسي أو التشيع السياسي، بمعنـى: أن أطرافًـا سياسـية عربية -رسمية أو شعبية- صـارت تجد في طهـران مرجعية في قضـايا كـبرى مثـل: قضـية فلسـطين، ووحـدة العـراق، ووحدة الدولة اللبنانية.

وقـد تكـون تلـك الجهـات في موقـع المعارضـة في بلـــدانها، فتتحـــول تلـــك الجهـــة -أو الجهـــات- إلى أداة لطهـران أو لغيرهـا ضـد النظـام القـائم، وقـد جربنـا ذلـك بالفعل.

وفي البلـدان الثلاثـة التـي ذكرهـا سـعود الفيصـل في السـنوات الأخـيرة، فـ«حـزب الله» -وبـدعم مبـاشر مـن طهران- أقام دويلة على حاشية الدولة اللبنانية وفي قلبها.

والوضـع هـش ومتجمـد في لبنـان -الآن-، لكنه قد يعـود الى الـتردي إذا رأت طهـران الضـغط بواسطة «حـزب الله» أثنـاء مفاوضـاتها مـع الولايـات المتحـدة والمجتمـع الدولي.

والوضـع متخثـر بـالعراق، وطهـران داخلـة في كـل التلافيف والتفاصيل، ولا أحـد يـدري كيـف سيكون عليه الحـال بعـد عـام عنـدما يبـدأ الأميركيـون بالانسـحاب مـن ذلـك البلـد؟! بـل نحـن لا نـدري إذا لم تعمـد الولايـات

المتحدة في مفاوضاتها مع إيران إلى «الاعتراف» بمصالح إيران في العراق، فيتحول الأمر إلى مشكلة لا تنتهي.

بيد أن الجرح الملتهب -الآن- يتركز في فلسطين، حيث تحاول «حماس» الاحتفاظ بعلاقاتها مع طهران (والتي كانت الأساس في حرب غزة الأخيرة)، وفي الوقت نفسه التصالح مع منظمة التحرير، ومع مصر، وقد جاء مؤتمر طهران الأخير فركز من جديد على «معبر رفح» متعمدًا دق أسفين بين مصر و«حماس» لمفاقمة المشكلة، ولكي تكون بين الفلسطينيين ومصر، وليس بين الفلسطينيين وإسرائيل!

والواقع أن للمشكلة جانبًا آخر؛ اضطر وزير الخارجية المغربي لذكره عندما قال: إن المغرب ومليكه يترأسان لجنة القدس، ويعملان من أجل القضية.

وهذا يكشف الجانب الذي لم يعد مستورًا في الاستراتيجية الإيرانية، والقائمة على رفع راية فلسطين، من أجل تبرير التدخلات في سائر الدول العربية؛ إذ تتركز الحملات الإعلامية من جانب طهران وأنصارها على أن العرب أهملوا قضية فلسطين، وأن إيران هي حاملة الكفاح من أجل تلك القضية الكبيرة؛ التي لا تريدها طهران أن تبقى عربية، بعد أن عمد أردوغان -أيضًا- الى مجاذبة طرف الثوب ذاك!

وفي الخلاصة: هناك مشتركات عربية كثيرة في ما يتعلق بالتحدي الإيراني ومن جهات عدة: التدخلات الفعلية من خلال الأنصار المذهبيين والسياسيين، والتدخلات الايديولوجية؛ من خلال رفع راية القضايا العربية باعتبارها قضايا اسلامية تقودها إيران، والتدخلات الاستراتيجية؛ من خلال جمع الأوراق في سلة طهران (وأكثرها أوراق عربية)، وعرضها على الولايات المتحدة من ضمن جدول أعمال التفاوض المنتظر.

وفي وجه هذه التدخلات المستمرة والمتفاقمة يعرض الملك عبد الله بن عبد العزيز مبادرة التضامن والمصالحة العربية، كي تكون هناك خطة عربية لمواجهة التحديات الخارجية والاقليمية.

وقال عمرو موسى -أمين عام الجامعة العربية-: إن هناك عقبات لا تزال قائمة في وجه المصالحة.

وربما قصد: استمرار بعض الدول العربية في الانحياز لطهران على حساب المصالح العربية العليا، وهذه أمور ما كان يصح أن تحدث؛ سواء لجهة الانحياز لطهران، أو لجهة الاختلاف مع إيران اصلًا، لكن إدارة الجمهورية الإسلامية في عهد الرئيس نجاد اختارت الصراع، ودعم كل العرب الذين يقفون إلى جانبها في وجه مصر والسعودية.

ولذا؛ لا بد من وقفة جماعية عربية من أجل صون قضايانا، والحفظ على وحداتنا الوطنية ومصالحنا المشتركة.

الطريقة البرهانية تروج للفكر الشيعي في مصر
حسين البربري «المصريون» (١٣ / ٣ / ٢٠٠٩)

كشف مصطفى عبد النبي -المنشق حديثًا عن الطريقة البرهانية المحظورة- لـ «المصريون»:

أن الطريقة البرهانية في مصر تعمل لحساب إيران، ويتم تمويلها عن طريق رجال أعمال مصريين يعملون في مجال السياحة، على علاقة برجال دين شيعي، في عدد من الدول العربية؛ بهدف نشر المذهب الشيعي في مصر.

وقال: «إن تلك الطريقة -التي يتزعمها في مصر شخص يدعى: «م. ا» وهو من المنصورة، ويمتلك ورشة حدادة- تروج للفكر الشيعي؛ حيث قامت بتوزيع ورقة

مغلوطة لأسماء الرسول الكريم منذ فترة، ومعها سبحة في دعوة لنشر التشيع بالمجتمع المصري».

وأوضح: أن أتباع الطريقة يواظبون على عقد حلقة ذكر «حضرة» بشكل منتظم شهريًّا بمسجد السيد البدوي بطنطا؛ حيث يجتمع أتباع الطريقة المقيمون في القاهرة في كل جمعة من أول شهر بميدان المطرية، وهناك أتوبيسات سياحية فاخرة تقلهم إلى طنطا.

وأضاف: أنه يتم توزيع أوراد، وأذكار، وتعليمات عليهم، وفي طريقهم إلى طنطا يقومون بالإنشاد الخاص بطريقة خاصة؛ حيث يقفون في منتصف الأتوبيس ليصلوا على النبي فقط، ولا يذكرون أهله وصحابته، ثم يقومون بالإنشاد لسيدنا «علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-»، ومؤسس الطريقة البرهانية محمد عبده عثمان البرهاني.

وأشار إلى أنهم: يقومون -أيضًا- بزيارة ضريح إبراهيم الدسوقي؛ حيث يتجمعون عند وصولهم إلى دسوق عند الكوبري لأداء صلاة الجمعة، ثم يقومون بتنظيم موكب حسب تعليمات رئيس السيارة، ولا يتم التخلف عنه إلا لأسباب مرضية، إلى أن يصل إلى مسجد سيدي إبراهيم الدسوقي في صلاة العصر؛ حيث يؤدون الصلاة جماعة.

وأكد أن الطريقة البرهانية تضم أُسرًا بالكامل بمن فيهم الأطفال والشباب من الجنسين، وفي داخل المسجد يوجد أماكن للرجال، وأخرى للنساء، ويقوم الرجال والنساء بوضع دبوس صدر عليه صورة البرهاني الكبير مؤسس الطريقة.

وعند بدء الحضرة تقوم النساء برفع الرايات الخضراء التي تحمل اسم الطريقة البرهانية، ثم تبدأ الحضرة من العصر إلى المغرب، وفي هذه الأثناء يقمن النساء بالزغاريد أو التصفيق أثناء تأدية الرجال الحضرة التي تنوع الإنشاد فيها ما بين اللهجتين السودانية والمصرية.

وقدم عبد النبي لـ «المصريون» ورقة لأتباع الطريقة البرهانية أثناء رحلتهم، وهي عبارة عن أسئلة، وبها الأجوبة ومنها:

س: الفرق بين الوراثة الكلية، والوارثة البعضية؟

ج: بالنسبة للوراثة؛ فيه وراثة بعضية، ووراثة كلية، يعني: لما النبي -صلَّى الله عليه وآله- يقول: «**أنا مدينة العلم، وعلي بابها**»؛ فهذه وراثة كلية، لأن العلم شامل الصدق والحق والحياء، فالعلم فيه الصفات الإلهية جامع لكل المعاني، ولكل الوجود، ولكل التعاريف، ولكل الماهيات، والعلم ضد الجهل على الإطلاق، لما النبي قال: «**علي سيد العرب**»، سألته السيدة عائشة -سألته-: أو لست سيد العرب يا رسول الله؟! قال: «**لا، سيد العرب علي**».

وفي هذه الورقة -أيضًا- وتحت عنوان: «بيضة الأسد» وضعوا صفة الألوهية لسيدنا علي بأنه هزم الأحزاب وحده، ودللوا على ذلك بقصة وهمية مليئة بالشعوذة!

وتضم الورقة سؤالًا يقول: هل البعث للمخلوقات البشرية فقط؟

مين قال؟ حتى الغنماية إللي عندها قرون إذا تنطح إللى معندهاش قرن يشيلة قرون ده، ويحطوه في ؛ده يضرب به بده زي ما ضربته بعد كده يقول لهم: كونوا ترابًا، لأنه موطن عدل، يقوم يقول الكافر: يا ليتي كنت ترابا، لما يقول للبهائم: كونوا ترابًا، الكافر يتمنى يكون ترابًا.

وهناك سؤال آخر يقول: يعني إيه: الحساب بمثاقيل الذر؟

ج: عشان كده إحنا بقينا دراويش خايفين من الحساب، وبقينا ولاد طريقة الحساب دقيق، والحساب إللي ما بيعرفه.

عروض ايرانية لبريطانيا يكشفها دبلوماسي بريطاني كبير

«بي بي سي» (٢٠٠٩/٢/٢٢)

عرضت إيران التوقف عن مهاجمة الجنود البريطانيين في العراق، في محاولة لاكتساب الغرب للتخلي عن معارضته لبرنامجها النووي -حسب سفير بريطانيا لدى الأمم المتحدة السير جون ساورز-.

وتسلط هذه المعلومات -التي أدلى بها الدبلوماسي البريطاني لبرنامج وثائقي لـ «بي بي سي»- أضواء جديدة على مفاوضات الكواليس بين إيران والغرب.

وقد تصاعدت الهجمات المسلحة ضد الجنود البريطانيين والأمريكيين في العراق، وبلغت ذروتها عام **(٢٠٠٥)**، وكان مدى الدور الإيراني في تسليح وتدريب الميليشيات مجهولًا -آنذاك-.

وبينما أنكرت إيران أي دور فيما كان يحدث، كان المسؤولون البريطانيون يغلفون اتهاماتهم بالقول: «إن لديهم أدلة مفصلة».

وبعد صدور هذه المعلومات، قال ناطق باسم الخارجية الايرانية لـ «بي بي سي»: «إن ليس لإيران أي دور في الهجمات على الجيوش الاجنبية في العراق وأفغانستان، وأن دور الجمهورية الاسلامية وهدفها كانا -دائمًا- العمل من أجل السلام»!

وأضاف الناطق: «إن طهران ناقشت وتعاونت مع العديد من الدول من أجل إحلال السلم في العراق وافغانستان».

1 محادثات خصوصية:

ولكن الديبلوماسي البريطاني يكشف ليس عن اعتراف الإيرانيين بضلوعهم وحسب؛ بل وعن **عرض مثير للدهشة؛ للتوقف عن هذه الهجمات في العراق، مقابل توقف الغرب عن الاعتراض على برنامج إيران النووي المثير للجدل.**

وقال السير جون ساورز: «إن الإيرانيين عرضوا الاقتراح خلال محادثات غير رسمية بأحد فنادق لندن».

وأضاف قائلًا لـ «بي بي سي»: «اتصل عدد من الإيرانيين -جاؤوا إلى لندن-؛ واقترحوا جلسة شاي في هذا الفندق -أو ذاك- إنهم يحاولون نفس الشيء في باريس وبرلين، بعدها نقارن بين ما سجلناه» .

وزاد موضحًا: «كانوا يريدون الحصول على صفقة يتوقفون بموجبها عن قتل قواتنا في العراق، مقابل السماح لهم بالاستمرار في تطوير برنامجهم النووي**!** نتوقف عن قتلكم في العراق، وتتوقفون أنتم عن نسف العملية السياسية هناك، تسمحون لنا بالاستمرار في برنامجنا النووي دون عراقيل» .

وبعد أن رفضت بريطانيا العرض؛ استؤنفت عمليات تخصيب اليورانيوم بعد وقت قصير.

1 نمط قديم:

إنه حادث واحد يكشف عن نمط من صفقات الكواليس التي أبرمت مع الإيرانيين منذ عام **(٢٠٠١)**.

ويبدو من اللقاءات مع المسؤولين الإيرانيين والأمريكيين: أن طهران ومنذ (سبتمبر / أيلول عام

٢٠٠١) تعاونت عن قرب مع الولايات المتحدة لقلب نظام طالبان في أفغانستان، وبلغ هذا التعاون حدًّا كشفت فيه عن معلومات استخباراتية للأمريكين.

وتتذكر هيلاري مان -وكانت عضوا في إحدى البعثات- كيف ضرب مسؤول عسكري إيراني بقوة على الطاولة للضغط على الأمريكيين حتى يغيروا الهدف.

وقالت لـ «بي بي سي» موضحة: «إنه نشر الخارطة، ثم أشار إلى الأهداف التي ينبغي أن يركز عليها الأمريكيون، ولقد حملنا معنا الخريطة إلى مركز القيادة، واعتمدنا بالفعل هذه الخطة».

وفيما يتعلق بالعراق عرض الرئيس الإصلاحي محمد خاتمي التعاون من أجل الإطاحة بصدام حسين؛ بحجة أن الزعيم العراقي كان عدوًّا لإيران -أيضًا-.

لكن العلاقات ساءت بعد أن أدرج الرئيس السابق جورج بوش الابن إيران ضمن ما سماه: «محور الشر»، ولم تسفر محاولات الأوروبيين لفتح مفاوضات عن أي نتيجة!

[1] توقعات راهنة:

ووفقًا لنيك بيرنز -المكلف بالملف السياسي في وزارة الخارجية على عهد الإدارة الأمريكية السابقة- يبدو أن اللهجة المتشددة مع إيران لم تكن مثمرة، وقال بيرنز: «لقد أيدنا تغيير النظام، لقد فضلنا موقف التهديد خلال عدة سنوات، ولم يؤد ذلك إلى أي نتيجة إيجابية إطلاقًا».

إن لقطات البرنامج الوثائقي عن سلسلة القاءات غير الرسمية؛ التي أجريت على امتداد عدة سنوات، وأثمرت تعاونًا حقيقيًّا قد تبدو مشجعة، لكن مجموعة اللقاءات الصحافية المذهلة؛ لا تكشف عن آفاق مستقبل العلاقات، وعن إمكانية تحسنها.

وتبقى العقبة الأساسية قائمة؛ فكل الساسة وأصحاب القرار في إيران -حتى الرئيس الإصلاحي الذي سيتقدم إلى انتخابات الصيف المقبل- يصرون على حق إيران في تطوير برنامجها النووي دون عراقيل.

وفي المقابل يصر الغرب على الاعتقاد أن هذا البرنامج ستار لتطوير سلاح نووي، ويطالب بوقف نشاط تخصيب اليورانيوم.

ويبدو أن عرض الرئيس الأمريكي بـ «مد يده» إذا ما قررت إيران «فك قبضتها» غير كاف للخروج من النفق المسدود.

بقلم: برجديت كيندل

-المحررة الدبلوماسية لـ «بي بي سي»-

مولد سيدي «بن حمدوش».. موسم الشواذ بالمغرب!

«إسلام أونلاين» - حمد حموش

«ها هي جات، ها هي جات، لا لا عيشة مولات الواد» (لقد جاءت، لقد جاءت، السيدة عائشة صاحبة الوادي).

بينما انشغل الآلاف من زوار مولد «سيدي علي بن حمدوش» بضواحي مدينة مكناس المغربية (وسط) بترديد هذه الأهزوجة، انشغلت قوات الأمن المغربية من جهتها بالعمل على الحيلولة دون تدفق مئات الشواذ جنسيًّا على المولد؛ الذي يمثل فرصة ملائمة للقاءاتهم.

واعتقلت قوات الأمن في الفترة ما بين يومي (٧ و١٤ مارس) الجاري (٢٥) شاذًّا؛ حاولوا الوصول

للمولد الذي يقام سنويًّا احتفاء بذكرى المولد النبوي الشريف، ووضعتهم داخل مدرسة قروية، بانتظار ترحيلهم لسجن مكناس للتحقيق.

كما صدت السلطات أكثر من (١٧) شاذًّا خلال اليوم الأول للمولد، جاءوا من الدار البيضاء، وأجبرتهم على العودة -بحسب مصادر أمنية-.

ووضعت السلطات (٦) حواجز أمنية في الطريق المؤدية إلى الضريح المقام في قرية لا يتجاوز تعداد سكانها (٤) آلاف شخص، وهي «جماعة المغاصين» بمكناس، وأوضح شهود عيان لـ «إسلام أون لاين. نت» أن «الأمن لا يكتفي بالاطلاع على أوراق صاحب السيارة، بل يدققون في ملامح الركاب، ويفتشون أغراضهم؛ لاعتراض أي مشتبه بتعاطيه الشذوذ».

وفضلًا عن مراقبة الطرق؛ تقوم قوات الأمن بحملات تفتيش على منازل القرية التي تشتبه باحتضانها للشواذ؛ الذين استطاعوا الوصول إلى الضريح من خلال سلوك طرق فرعية لا تخضع لمراقبة الأمن.

ويجرم القانون المغربي الشذوذ وفق باب انتهاك الآداب في الفرع السادس من القانون الجنائي؛ الذي ينص في مادته (٤٨٩) على أنه «يعاقب من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات، وغرامة من (٢٠٠) إلى (١٠٠٠) درهم مغربي (٢٠ - ١٠٠ دولار) لمن ارتكب فعلًا من أفعال الشذوذ الجنسي مع شخص من جنسه».

[1] احتياج روحاني وجنسي!!

«قضية مركبة، يمتزج فيها الطقس الروحي بما هو جنسي محض».

بهذه الكلمات علق الاختصاصي الاجتماعي محمد العيطوني على ظاهرة تدفق الشواذ جنسيًّا بالمغرب على موالد الأولياء.

موضحًا: «إنهم كباقي المغاربة الذين يحجون إلى الأضرحة والأولياء، فهم -أولًا وأخيرًا- يبحثون عن نوع من الاستقرار الروحي، والبركة العاطفية؛ التي قد تعوضهم نفسيًّا عن الحرمان الذي يعيشونه وسط مجتمع لا يعترف بهم».

وأضاف في تصريحات لـ «إسلام أون لاين»: «وهم بهذا يحصلون داخل هذه الملتقيات الشعبية على نوع من الاعتراف المجتمعي؛ من خلال ممارستهم لكافة الطقوس التي يمارسها الآخرون؛ من ذبح للأضحية، ونثر للبخور، والاغتسال في حفرة لا لا عيشة»، وهي غرفة ضيقة صغيرة، توجد تحت الضريح.

واستدرك: «لكن مما لا شك فيه أنه إضافة إلى العوامل السابقة؛ فالمكان الذي هو الضريح، والزمان الذي يرتبط بموسم يحضره الآلاف، يشكل فرصة سانحة لممارسة الدعارة؛ بنوعيها: الشاذ، والعادي، والحصول على عائد مادي كبير؛ نظرًا لكثرة الزوار».

وتابع: «ومن المهم الإشارة -هنا- إلى أن مواسم الأضرحة التي يحضرها الشواذ في عدد من المدن المغربية تكون فرصة لتعارف بعضهم ببعض، وهذه مسألة حيوية بالنسبة لهم؛ لكونهم يشعرون بنوع من الغربة داخل المجتمع المغربي الذي يرفضهم».

وكان رئيس جمعية تهتم بشئون الشواذ بالمغرب قد فجَّر ما يشبه القنبلة في الأوساط المغربية؛ خلال حوار مطول أجرته معه صحيفة مغربية قبل أكثر من أسبوع؛ حيث كشف عن تلقي جمعيته دعمًا من جانب أحزاب وجمعيات حقوقية، وبعثات دبلوماسية أجنبية في المغرب.

مشيرًا إلى أن الشواذ منتشرون وسط حقول

الإعلام، والمجتمع المدني والسياسي المغربي، وهو ما لاقى انتقادات من جانب حزب العدالة والتنمية ذي التوجه الإسلامي.

«بن حمدوش»[1]**:**

ويحضر مولد «بن حمدوش» سنويًّا -إلى جانب الشواذ وفتيات الليل- عدد كبير من العرافين والعرافات؛ الذين يستغلون المناسبة التي تدر عليهم ربحًا وفيرًا، كما يعتبر الجزارون وبائعو الماشية أكثر المستفيدين من المولد؛ إذ يحرص آلاف الزوار على تقديم القرابين بالضريح، والتي قد تكون ثورًا، أو دجاجة -بحسب القدرة الشرائية للزائر-، وذلك لـ «الحصول على البركة، والتخلص من أعمال السحر، والحسد، والشعوذة» وفق اعتقادهم!

ومن طقوس زيارة الضريح -التي تعد شرطا لنيل البركة-: إشعال الشموع، وتقديم القربان، ثم الاغتسال داخل ما يسمى بـ «حفرة لا لا عيشة» الموجودة تحت الضريح بماء «العين الكبيرة»؛ التي يعتقد أتباع الطريقة الحمدوشية أن: «الشيخ علي بن حمدوش توضأ منها، وكانت سببًا في نيل الآلاف للبركة والرزق».

بيد أن تصريحات المسئولين المحليين تؤكد أن: «ماء العين الكبيرة ليس إلا ماء صنابير المكتب الوطني للماء الصالح للشرب»، الذي يعد الجهة الرسمية المشرفة في البلاد على توزيع المياه، وتبقى الحضرة (الزار) من أهم الطقوس التي يحرص زوار الضريح على ممارستها.

ويذكر أتباع الطريقة الحمدوشية: أن الشيخ بن حمدوش هو «خريج جامعة القرويين بمدينة فاس؛ التي تعتبر أقدم جامعة في العالم (أسست عام ٢٤٥ للهجرة على يد فاطمة الفهرية أم البنين)، وقد حفظ القرآن، وأصبح من العلماء الزاهدين الذين يتبرك بهم طلبة العلم».

أما «لالا عيشة»؛ فيروى أن: «الشيخ علي بن حمدوش لما عزم الزواج؛ أحضر له أحد أتباعه الذي كان في زيارة للسودان سيدة من هناك أعجبته أخلاقها، وعندما حضر بها إلى المغرب الأقصى؛ فوجئ أن الشيخ توفي أعزب، فبقيت العروس تبكي على قبره؛ حتى حصلت لها البركة، وصارت -بحسب معتقداتهم- رمزا للفتيات طالبات الزواج»!

ويتفادى غالبية المشرفين على الطريقة الحمدوشية -حاليًّا- الحديث عن مسألة «عزوبية الشيخ»؛ التي يثير النقاش بشأنها غضبهم؛ لكونها تحرم البعض مما يدعيه من انتماء لنسل الشيخ الذي مات أعزب.

وينتقد علماء بالمغرب الكثير من المظاهر التي تشوب احتفالات الزوايا بالمناسبات الدينية؛ خاصة ما يتعلق منها بتقديس الشيخ، ومحاولات التبرك به، مبرزين أن مثل هذه المظاهر تخالف ما جاء به الإسلام الحنيف.

والمواضيع المميزة التالية ...

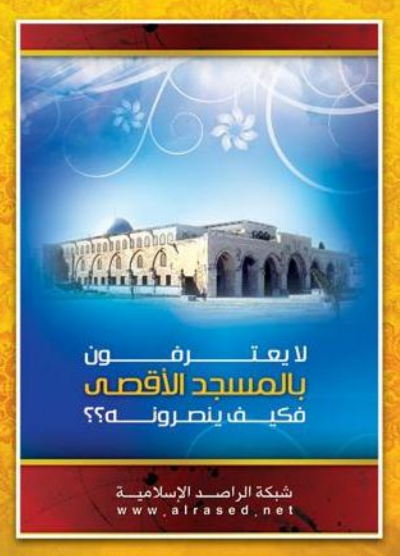
✳ **«انصروا إيران؛ ولو ظالمة» - حمد الماجد.**

✳ **«ماذا بعد قطع المغرب لعلاقاته الدبلوماسية مع إيران؟» - عبد الرحيم العلام.**

✳ **«مرة أخرى.. نحن والشيعة» - د. محمود غزلان -عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان بمصر-.**

تجدها في موقع «الراصد»

إصدار جديد



يمكنك الحصول عليه من خلال موقعنا